توفيق الحكيم

محمد

الناشر — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت : ٤٢٧٧٧

توفيق الحكيم

محمد

الناشر — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت : ٤٢٧٧٧



بسم الله الرحمن الرحيم

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ . . . »

[illegible]

[illegible]

بيان

المألوف فى كتب السيرة أن يكتبها الكاتب ساردا باسطا محللا معقبا مدافعا مفندا . . .

غير أنى يوم فكرت فى وضع هـذا الكتاب قبل نشره عام ١٩٣٦ ألقيت على نفسى هذا السؤال :

« إلى أى مـدى تستطيع تلك الطريقة المألوفة أن تبرز لنا صورة بعيدة – إلى حد ما – عن تدخل الكاتب ؟ صورة ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل ، دون زيادة أو إضافة توحى إلينا بما يقصده الكاتب أو بما يرمى إليه ؟ . . . »

عندئذ خطر لى أن أضع السيرة على هذا النحو الغريب .

فعكفت على الكتب المعتمدة والأحاديث الموثوق بها ، واستخلصت منها ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل . وحاولت على قدر الطاقة أن أضع كل ذلك فى موضعه كما وقع فى الأصل ، وأن أجعل القارئ يتمثل كل ذلك كأنه واقع أمامه فى الحاضر ، غير

مبيح لأى فاصل ، حتى الفاصل الزمنى أن يقف حائلا بين القارىء وبين الحوادث . وغــير مجيز لنفسى التدخل بأى تعقيب أو تعليق، تاركا الوقائع التاريخية والأقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة .

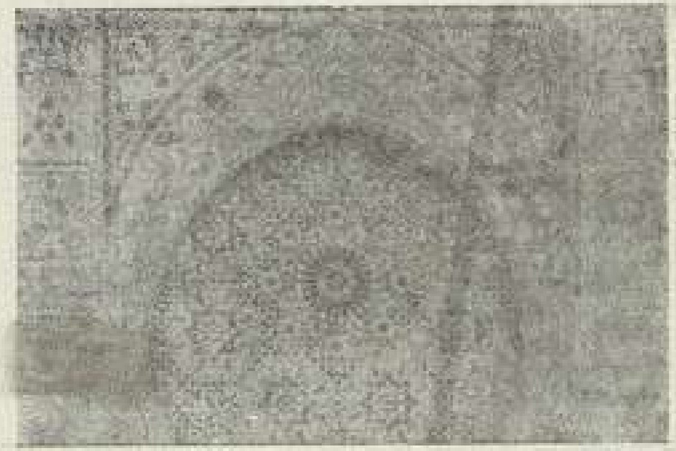
كل ما صنعت هو الصب والصياغة فى هذا الإطار الفنى البسيط شأن الصائغ الحذر الذى يريد أن يبرز الجوهرة النفيسة فى صفائها الخالص ، فلا يخفيها بوشى متكلف ، ولا يغرقها بنقش مصنوع ، ولا يتدخل إلا بما لا بد منه لتثبيت أطرافها فى إطار رقيق لا يكاد يرى .

هــذا ما أردت أن أفعل :

فاذا اتضح للناس بعد هذا العمل ان الصورة عظيمة حقاً فأنما العظمة فيها منبعثة من ذات واقعها ، لا من دفاع كاتب متحمس أو تفنيد مؤلف متعصب .

ت . ا

المقدمة



المنظر الأول

(على أطمة يثرب
الوقت ليل . . . .)

يهودي : (يصرخ بأعلى صوته) يا معشر يهود !

(جماعة من يهود يقبلون
ويحشرون إليه)

الجماعة : ويلك ، مالك !

اليهودي : (يشير إلى السماء) انظروا ! انظروا !

الجماعة : (يتطلعون إلى السماء) ماذا ؟

اليهودي : (يشير إلى السماء) طلع الليلة نجم أحمد ! !.

المنظر الثانى

« عبد المطلب بجوار الكعبه ... »

امرأة : (تجرى نحوه تصيح) أبشر يا عبد المطلب !. أبشر .؟!

عبدالمطلب : ماذا ؟

المـــرأة : جاءت آمنة بولد . لا ككل الولدان !

عبدالمطلب : ولد ؟

المـــرأة : لقد نظرت وهو يخرج منها أن قد خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام !

عبد المطلب : (فى فرح) إنها والله للرؤيا التى رأيت . هلمى بنا !

المـــرأة : أى رؤيا ؟

عبد المطلب : ألم أرى فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى لها طرف فى السماء وطرف فى الأرض . وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب . ثم كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ويحمدونها ؟! .

المـــرأة : فلتسم المولود محمداً .

عبد المطلب : (فى فرح) نعم . ولألتمس له المراضع .

المـــرأه : هلم ، فانظر إليه !

(يذهبان مسرعين)

المنظر الثالث

«في سوق عكاظ — حليمة مرضع محمد بين نسوة وهي تحمله على صدرها، وعلى مقربة منها أتانها وشارفها . . .»

إحدى النسوة : من هذا الصبي ؟

حليمـــة : هو يتيم لا أب له ولا مال .

المـــرأة : إنا لنرجو أن يكون مباركاً .

حليمـــة : إنه لكذلك ، ولقد رأينا بركته .

المـــرأة : كيف ذلك ؟

حليمـــة : كنت لا أروى ابني من لبني ، فهو وابني الآن يرويان ، ولو كان معهما ثالث لروى . لقد أمرتني أمه أن أسأل عنه .

المـــرأة : ها هنا في السوق عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم .

حليمـــة : نعم ، لأعرضنه على عراف هذيل ولأسأله عنه

المرأة : (تشير إلى مكان فى السوق) هلمى بنا إليه إنه جالس فى مكانه .

(تنهض حليمة بمحمد وتتجه إلى العراف)

حليمة : أيها العراف ! أنظر إلى هذا الصبي وأخبرنى عنه . !

العراف : (ينظر إلى وجه محمد) ابن من هذا ؟

حليمة : هو يتيم لا أب له .

العراف : (يصيح) يامعشر هذيل ! يامعشر العرب !

(يجتمع إليه الناس من أهل الموسم)

الناس : مالك ؟ مالك ؟

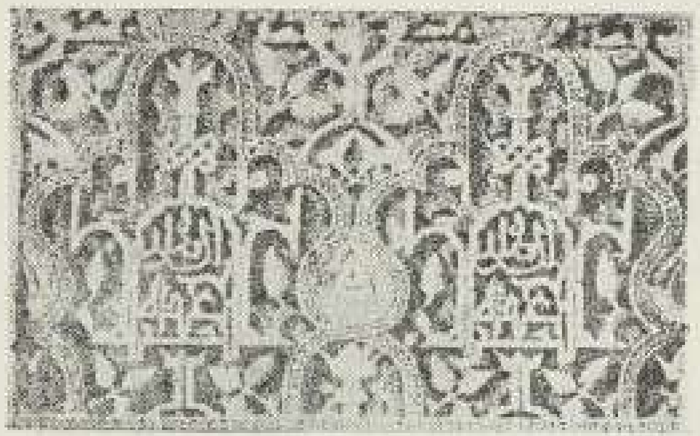
العراف : اقتلو هذا الصبي !

حليمة : (تتسل بمحمد) واولداه . . .

الناس : (يلتفتون ولا يرون شيئاً) أى صبي ؟

العراف : (يلتفت حوله باحثاً عن حليمة) هذا الصبي . . . اقتلوه ! . اقتلوه !

(الناس لايرون شيئاً)



المنظر الرابع

«صومعة بحيرا الراهب ببصرى من أرض الشام . . . . . . »

بحيرا : (ينظر من صومعته إلى ركب مقبلين) هـذا ركب تجار قريش عجباً ! ماذا أرى فيه قد تغير هذا العام ؟ ! كثيراً ما يمرون بى فلا أرى ما أرى !

(ينهض إليه خادمه نسطاس)

نسطاس : ماذا ترى ؟

بحيرا : انظر تلك الغمامة التى فوق القوم !

نسطاس : (ينظر) نعم ، إنما تظل غلاماً بين القوم :

بحـــيرا : هذه الغمامة لا تظل إلا نبياً .

نسطاس : نبياً ؟ ! أترى هو الذى حدثتنى عنه ؟

بحـــيرا : أكبر ظنى . لقد آن أوانه .

نسطاس : (ينظر) هذا الغلام . . .

بحـــيرا : فلنتبين الأمر . يا نسطاس ، اصنع طعاماً للقوم .

نسطاس : (يسرع إلى ما أمر به) نعم .

بحـــيرا : (ينادى) يا معشر قريش ! إنى قد صنعت لكم طعاماً ، وأحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، عبدكم وحركم .

أبو طالب : (من بين القوم) والله يا بحيرا إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ ؟

بحـــيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم !

(يجتمعون اليه ويتخلف الغلام محمد)

أبو طالب : (لبحيرا الذى ينظر فى القوم باحثاً) مالك تنظر فى القوم، عمن تبحث يا بحيرا ؟

بحيرا : يامعشر قريش ! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .

الجميع : يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلاما، هو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم .

بحيرا : لا تفعلوا . ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

رجل من قريش : واللات والعزى إنه للؤم بنا أن يتخلف بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا .

(يقوم اليه فيحضنه ويجلسه مع القـوم . . . . .)

بحيرا : (يلحظ محمداً لحظا شديداً) أدن منى . أحدثك

(ثم يقوم ويتنحى به ناحيه بعيداً عن القوم . . . . .)

بحيرا : (لمحمد همسا) يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

محمد* : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً . فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما .

بحيرا : فبالله إذا ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

محمد : سلنى عما بدالك .

بحيرا : أتحب العزلة ؟

محمد : نعم .

بحيرا : أتتأمل فى السماء والنجوم . ؟

محمد : نعم .

بحيرا : أتلعب مع الغلمان كما يلعبون ؟

محمد : كلا .

---

* يلاحظ أن الكلام الذى يجرى على لسان النبى فى هذا الكتاب هو كلام تاريخى وردت نصوصه فى كتب معتمدة هى على سبيل الحصر: سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى ، وطبقات ابن سعد ، والاصابة لابن حجر وأسد الغابة لابن الأثير، وتاريخ الطبرى، وصحيح البخارى، وتيسير الوصول ، والشمائل للترمذى للبيجورى . كذلك الوقائع الواردة فى هذا الكتاب كلها صحيحة مروية فى الكتب السابق ذكرها . على أن ترتيب هذه الوقائع وتنسيقها لم يتبع فيه النظام الزمنى المعروف فى كتب التاريخ ، لما هو مفهوم من أن هذا الكتاب ليس عملاً تاريخياً ولا علمياً وإنما هو عمل فنى .

بحيرا : أترى فى نومك رؤى تصدق فى يقظتك ؟

محمد : نعم .

بحيرا : (يقبل على أبى طالب صائحاً) يا أباطالب ! يا أباطالب ! .

أبو طالب : (فى دهشة) ما شأنك يابحيرا ؟

بحيرا : (مشيراً إلى محمد) خبرنى ، ما هذا الغلام منك ؟

أبو طالب : ابنى .

بحيرا : ما هو بابنك . وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

أبو طالب : إنه ابن أخى .

بحيرا : وما فعل أبوه ؟

أبو طالب : مات وأمه حبلى به .

بحيرا : (فى شبه همس) صدقت . ارجع بابن أخيك إلى بلده

واحذر عليه يهود . فو الله لئن رأوه وعرفوا منه

ما عرفت ليبغنه شراً . فانه كائن لابن أخيك هذا شأن

عظيم . نجده فى كتبنا وما رويناه عن آبائنا .

أبو طالب : (متعجبا) شأن عظيم لابن أخى هذا ! ؟

بحيرا : نعم . إن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي .

أبو طالب : نبي ؟ وما النبي ؟

بحيرا : هو الذى يوحى إليه من السماء . فينبيء به أهل الأرض .

المنظر الخامس

« قبائل قريش مجتمعة عند الكعبة ،
إعرابي وراع يرعى غنمه على مقربة
منهم . . . . »

الأعرابي : (مشيراً إلى المجتمعين) من هؤلاء ؟

الراعي : تلك قبائل قريش يختصمون .

الأعرابي : فيم يختصمون .

الراعي : في بناء الكعبة . كل قبيلة تريد أن تضع حجر الركن دون الأخرى

الأعرابي : أرى واللات أنهم يتحاورون ويتحالفون ويعدون للقتال .

الراعي : أجل ، مررت بهم الساعة أسوق غنمي فوجدت بني عبد الدار قد قربت جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو

عدى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم .

الأعرابى : (يسرع بالإنصراف) هلم بنا ، قبل أن يستفحل الخطب .

(أبو أمية بن المغيرة ينهض فى قريش)

أبو أمية : يا معشر ، قريش ! . احقنوا دماءكم واجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه .

قريش : رضينا .

أبو أمية : (يلتفت) أرى غلاماً داخلا . . . .

قريش : (صائحين) هذا الأمين ! هذا محمد !

أبو أمية : أترضون حكمه ؟

قريش : نعم .

أبو أمية : (صائحاً) يا محمد ! . تعلم أنا كنا قد أجمعنا رأينا على بنيان الكعبة ! وأن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حـــدة ، ثم شيدناها حتى بلغ البنيـــان موضع الركن كما ترى ، فاختصمنا فيه ، كل قبيـــلة تريد أن ترفعه إلى

القتال وقد رأينا الآن أن نحتكم إليك فى أمره ، فأحكم بيننا بما ترى .

محمـــد : هلمّ إلى ثوباً .

أبو أمية : ائتوه بثوب .

(يحضرون ثوباً فيتناوله محمد ويفرشه على الأرض ويأخذ حجر الركن فيضعه فيه بيده .)

محمـــد : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً .

أبو أمية بما (معجباً فرحاً) مرحى ! مرحى !

(يمر بهم شيخ غريب . . .)

الشيخ : (صائحاً بهم) يا معشر قريش ! أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم ، غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟!

أبو أمية : (فى غضب) من هذا الرجل ؟

قريش : هذا شيخ من نجد .

أبو أمية : بل إنه الشيطان . . . أغرب أيها الرجل ، لا شأن لك بما نحن فيه . إن هذا الغلام اليتيم لخليق أن يجمع رأى العرب يوماً وأن يوحد الناس . . .



المنظر السادس

« فى دار أبى طالب »

أبو طالب : (لمحمد) يا ابن أخ ! أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام ! وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى مالها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك .

محمــــد : ما أحببت .

أبو طالب : (ينظر إلى الباب) ها هو ذا غلامها ميسرة :

عليه الخروج فى تجارتها إلى الشام وتعطيه ضعف ما تعطى رجلا من قومه .

أبو طالب : (لميسرة) وما حملها على ذاك ؟ !

ميسرة : قد سمعت بأمانته وحسن خلقه .

أبو طالب : (يلتفت إلى محمد فرحاً) يا محمد ! هــذا رزق قد ساقه الله إليك .

المنظر السابع

« فى دار خديجة بنت خويلد وهى
مع نفيسة بنت منية وميسرة . . . »

ميسرة : (لخديجة) لقد ربحت تجارتك يامولاتى ضعف ماكانت تربح .

نفيسة : إنه الأمين . أو لم يدعوه بالأمين !

ميسرة : بل إنه النبى .

خديجة : نبى ؟ !

ميسرة : نعم لقد باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح ، فقال له احلف باللات والعزى فقال محمد ماحلفت بهما قط

وإني لآمر فأعرض عنهما ، فقال الرجل القول قولك ثم همس لى : هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم .

خديجة : (كالمخاطبة لنفسها) نبي ! نعم . تحس نفسى ذلك . . .

نفيسة : (لخديجة) ماذا بك ؟ !

خديجة : (متفكرة) يانفيسة . .

نفيسة : لبيك !

خديجة : انطلقى إلى محمد فاذكرنى له . . .

نفيسة : (فى عجب) أنت ؟ ! إنك أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً . إن كل قومك حريص على زواجك لو قدر على ذلك . وقد طلبك أكابر قريش وبذلوا لك الأموال فلم تفعلى .

خديجة : انطلقى إلى محمد فاذكرنى له !

المنظر الثامن

« عند محمد »

نفيسة : (لمحمد) يا محمد ! ما يمنعك أن تزوج ؟

محمد : ما بيدى ما أتزوج به .

نفيسة : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف ، ألا تجيب ؟

محمد : فمن هى ؟

نفيسة : خديجة .

محمد : (فى دهش) خديجة ؟ بنت خويلد ؟ !

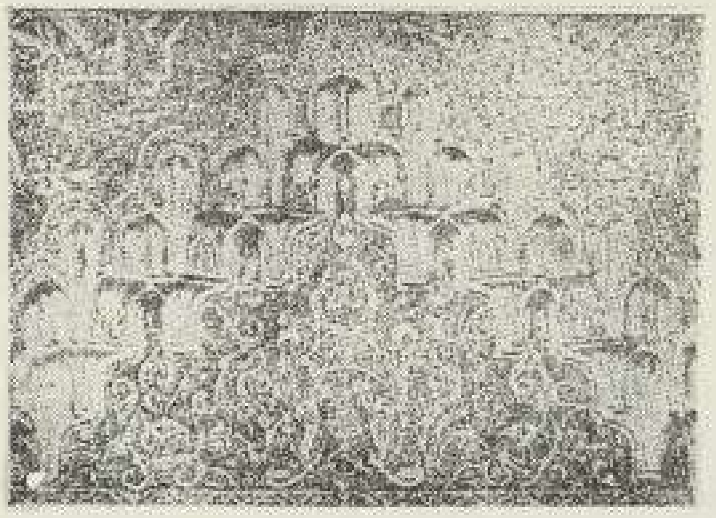
نفيسة : نعم .

محمد : (فرحا) وكيف لى بذلك ؟ ؟

نفيسة : (فى ابتسامة) علىّ !

محمد : (فى فرح وبلا تردد) فأنا أفعل .


الفصل الأول



المنظر الأول

« غار حراء — راعيان يرعيان الغنم على مقربة من الغار ... »

الراعي الأول : (لصاحبه مشيراً إلى الغار) أترى هذا الغار ؟

الراعي الثاني : (ينظر إلى حراء) نعم .

الراعي الأول : لقد أبصرته كثيراً يخلو به ويتعبد فيه .

الراعي الثاني : وحده ؟

الراعى الأول : نعم وحده .

الراعى الثانى : (يلتفت إلى بطن الوادى) انظر !

الراعى الاول : ماذا ؟

الراعى الثانى : إنه مقبل .

الراعى الاول : (ينظر ملياً) نعم ، إنه متجه إلى الغار .

الراعى الثانى : إن معه زاده .

الراعى الاول : نعم ، إنه يتزود لذلك .

الراعى الثانى : اختبىء كى لا يبصرنا .

(يختفيان فى الوادى)

(محمد يسير إلى الغار فى صمت
ويضع زاده بمدخله ثم يسجد
طويلا ....)

محمد : (ناظراً إلى السماء) ألم يأن لى أن أرى وجهك الذى أشرقت له الظلمات ؟

الراعى الأول : (لصاحبه فى همس) أرأيت ؟

الراعى الثانى : نعم .

الراعى الاول : إنه يلبث كذلك متحنثاً لليالى الطوال .

الراعى الثانى : ألا ينام .

الراعى الاول : لعله ينام وهو فى موضعه هذا ،

الراعى الثانى : إن فعله ينفذ إلى قلبي .

الراعى الاول : هلم بنا (يذهبان)

محمـــد : يارب هذا الكون ! ياخالق هذه السموات ! ياخالق الشمس والقمر والنجوم ! يا خالق هذه الأرض وهذه الجبال ! ياربى وخالقى وخالق الكائنات ! أريد وجهك ، أريد وجهك !

(يرى ضوءاً غريباً ويسمع صوتاً عجيباً ويهبط عليه الوحى . . . . . .)

الوحى : يا محمد !

محمـــد : (يأخذه ذعر) من هذا ؟ !

الوحى : يامحمد أنا جبريل

محمد : ماذا أسمع ! ماذا أسمع ؟ !

جبريل : أنا جبريل يا محمد .

محمد : جبريل ! ؟

جبريل : (يدنى منه كتاباً فى نمط من ديباج ......) إقرأ !

محمد : (يأخذه رعب) ما أقرأ .

جبريل : (يغته بالكتاب) إقرأ !

محمد : (وقد بلغ منه الجهد) ما أقرأ .

جبريل : (يغته) إقرأ !

محمد : ماذا أقرأ ؟

جبريل : إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ ،
وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الأنسان
ما لم يعلم . .

المنظر الثانى

« فى دار محمد ، خديجة بقرب الباب ،
محمد يدخل على خديجة وبه روع شديد »

خديجة : (تستقبله) أين كنت ؟ لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الى .

محمد : (مرتعداً) زملونى ! زملونى !

خديجة : (فى خوف) ماذا بك ؟ !

محمد : زمـــلونى ! زمـــلونى !

خديجة : (صائحة فى الدار) الدثار ، اسرعوا بالدثار !

محمد : (يجلس) زملوني !

(تأتي جارية بدثار تتناوله
خديجه على عجل . . . .)

خديجة : (وهي تدثر محمداً في قلق وارتياع) رحمة بي خبرني بأمرك ؟!

محمد : (كالمخاطب لنفسه) ملك من السماء !

خديجة : رحمة وغفراً . ماذا أسمع ؟ ماذا تقول ؟

محمد : إني اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ، يا محمد ، فانطلق هاربا في الارض . واليوم . . .

خديجة : (في قلق) واليوم . ؟ ؟

محمد : ملكا من السماء ! رأيت اليوم ملكا هبط على وكلمني وسمعت صوته .

خديجة : (تصغي اليه مليا) ملكا ؟ !

محمد : (كالمخاطب لنفسه) قال لي يا محمد ، أنا جبريل وأقرأني من كتاب معه في نمط من ديباج .

خديجة : جبريل ؟! (تطرق متعجبة مفكرة)

محمد : (كالمخاطب لنفسه) لقد خشيت على نفسى .

خديجة : (ترفع رأسها) كلا . والله ما يخزيك الله أبداً .

محمد : ياخديجة . والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيئاً قط ولا الكهان .

خديجة : هون عليك !

محمد : (كالمخاطب لنفسه) إنى أرى ضوءاً وأسمع صوتا . وإنى لأخشى أن أكون كاهنا .

خديجة : كلا يا ابن عم . لا تقل ذلك . إن الله لا يفعل ذلك بك أبداً إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتودى الامانة . وإن خلقك لكريم .

محمد : إن بى خشية مما حدث لى .

خديجة : هلم إلى ابن عمى ورقة تقص عليه ما رأيت وسمعت فهو نصرانى قد قرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل

المنظر الثالث

« عنــد ورقة بن نوفل وهو
شيخ كبير أعمى ...... »
(محمد وخديجة بين يديه)

خديجة : (لورقة وقد فرغ محمد من حــديثه ....)

أسمعت من ابن أخيك ؟

ورقة : (مطرقاً مفكراً) نعم .

خديجة : وماذا ترى ؟

ورقة : (يرفع رأسه فى قوة) قدوس ، قدوس ! والذى نفس

ورقة بيده ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى

(يلفتت صوب محمد) ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك .

محمد : (فى عجب) أومخرجى هم ؟

ورقة : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودىَ . وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

المنظر الرابع

« محمد وخديجة فى دارهما »

خديجة : (لمحمد) يا ابن عم . أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟

محمد : نعم .

خديجة : فاذا جاءك فاخبرنى به .

(يرى الضوء ويسمع الصوت فيصيح ...)

محمد : ياخديجة ! ها هو ذا ! ها هو ذا !

خديجة : جبريل ؟

محمد : (يهبط عليه الوحى فيضطرب ويتغير صوته ...) نعم . جبريل قد جاءنى (فى همس واضطراب) إنه أمامى الآن ...

خديجة : (فى شبه همس) قم يا ابن عم . فاجلس على فخذى اليسرى !

(يجلس كما قال)

محمـد : (همساً) لمـاذا ؟

خديجة : (هامسة) ستعلم . هل تراه ؟

محمـد : (ينظر إلى جبريل) نعم .

خديجة : تحول فاجلس على فخذى اليمنى !

(يفعل كما قال)

محمـد : (همساً) قد فعلت .

خديجة : هل تراه ؟

محمـد : (ينظر إلى جبريل) نعم .

خديجة : تحول واجلس فى حجرى !

محمـد : (متردداً) فى حجرك ؟!

خديجة : إفعل هل تراه ؟

محمـد : (يجلس ثم ينظر إلى جبريل) نعم .

خديجة : (تحسر وتلقى خمارها) هل تراه الآن ؟

محمـد : (ينظر إلى جبريل) لا

خديجة : (صائحة فى فرح) يا ابن عم . إثبت وأبشر . فو الله إنه لملك وما هو بشيطان . إذ لو كان شيطاناً لما استحيا .

(محمد ينهض من جوار خديجه وتعود هى إلى مخارها فيبدو جبريل من جديد ويدنو من محمد فيرتعد ويتصبب جبينه عرقاً . . . .)

محمـــد : (مرتجف الصوت) خديجة ! . .

خديجة : (تراه فتهرع إليه) مالك يا ابن عم .

محمـــد : إنى . . . . .

خديجة : (فى قلق وخوف) مالك ترتعد وما لجبينك يتفصد عرقاً ! ؟

محمـــد : دثرونى ! دثرونى !

خديجة : (تدثره سريعاً وتهمس) هوّن عليك !

جبريل : (لمحمد ولا يسمعه غير محمد) يا أيها المدثر : قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر !

المنظر الخامس

• في شعاب مكة . محمد يصلي ومعه صبي صغير هو ابن عمه علي بن أبي طالب . . الراعيان يبصرانهما عن كثب ....•

الراعي الأول : (لصاحبه) لقد كان يتعبد وحده فتبعه اليوم آخر.

الراعي الثاني : هذا الذي يتبعه صبي حديث السن.

الراعي الأول : يخيل إليّ أن هذا الصبي قد خرج معه مستخفياً من أهـله.

الراعي الثاني : (يلتفت) أنظر ؟

الراعي الأول : (ينظر إلى حيث أشار صاحبه) هذا أبو طالب.

الراعي الثاني : كأنه يبحث عن شيء.

الراعى الأول : لقد اتجه صوب المتعبدين .

(أبو طالب يمر بمحمد وعلى
وهما يصليان فيتأملهما لحظة فى
صمت ....)

أبو طالب : (يدنو منهما) يا محمد ! ما تصنع هنا ؟

محمـــد : (وقد فوجىء) أى عم . إنى ...

أبو طالب : إنك تصلى وتتعبد .

محمـــد : نعم يا عم .

أبو طالب : خبرنى يا ابن أخى . ما هـــذا الدين الذى أراك تدين به ؟

محمـــد : أى عم . هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا ابراهيم ، بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهـــدى ، وأحق من أجابنى إليه ، وأعاننى عليه .

أبو طالب : أنا ؟!

أبو طالب : يا ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه . ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت .

على : (يتقدم الى أبيه) أبتاه . . .

أبو طالب : (يلتفت الى على) وأنت يابنى ! ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟

على : يا أبت ! آمنت بالله ، وبرسول الله ، وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله ، واتبعته .

أبو طالب : (متعجبا) أنت أيضاً ؟!

على : نعم يا أبت .

أبو طالب : (يتفكر قليلا) أما أنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

المنظر السادس

« عند أبي بكر — وقد جلس
إليه عثمان بن عفان ...... »

أبو بكر : (لعثمان) والله يا عثمان ، ما دعاني محمد إلى دينه حتى أجبت ، ما نظرت فيه وما ترددت

عثمان : انك يا أبا بكر رجل صادق . وإنا لنحبك ونألفك لعلمك وخلقك ولا أحب إلى نفسي من أن أتبع الدين الذي اتبعت .

أبو بكر : إنه دين الحق .

عثمان : ان الأمين لم يكذب قط .

أبو بكر : نعم ان محمداً لم يكذب قط .

عثمان : إن ما جاء به وما قصصت عليّ قد أضاء قلبي بنور

كأن

أبو بكر : نعم، إنه النور الذى يهدى السبيل، لقد دخل دارى فأضاء قلوب أهله الصالحين جميعهم حتى غلامى بلال.

عثمان : اللهم إنى على هذا الدين!

أبو بكر : (ينهض به مغتبطا) قم بنا إلى محمد.

المنظر السابع

« محمد على جبل الصفا يرى يحى
جبريل .... »

جبريل : ... أنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . وقل إنى أنا النذير المبين ، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين .

(يرتفع عنه الوحى)

محمـــد : (كالمخاطب لنفسه) سأصدع بما أمرت سأصدع بما أمرت . (ينهض)

(يمر به اعرابى)

الأعرابى : يا هذا ، ما يقيك ها هنا وحدك بعيداً عن القوم ؟ ؟

محمـــد : (لا يجيب ويتجه إلى الناس مناديا) يامعشر قريش !

قريش : (بعضها لبعض فى صياح) محمد على الصفا يهتف !

(يقبلون ويجتمعون إليه وفى
مقدمتهم عمه أبولهب . . .)

أبولهب : مالك يامحمد ؟

محمــد : ادنوا منى أكلمكم .

قريش : تكلم !

محمــد : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى ؟

قريش : نعم . أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذباً قط .

محمــد : إذن فاسمعوا .

قريش : قــل .

محمــد : إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . يابنى عبد المطلب يابنى عبدمناف ، يابنى زهرة ، يابنى تيم ، يابنى مخزوم ، يابنى أسد . . . إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وإنى لا أملك لكم من الدنيــا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

أبولهب : تباً لك سائر هذا اليوم . ألهـذا جمعتنا ؟

النـاس : (ساخرين) ألهــذا جمعتنا ؟!

أبولهب : تفرقوا أيها الناس عن هذا المجنون الضال .

محمـــد : ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه . فأيكم يؤازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟؟

قريش : (تبتعد عنه ساخرة) لا أحد ، لا أحد !

أعرابي : نعم ، لا أحد يؤازرك على هذا حتى ولا كلب الحي !

عـــلي : (يتقدم ويصيح بصوته الصغير) أنا يارسول الله عونك ! أنا حرب على من حاربت !

أعرابي : (مشيراً الى علي) أهذا كل جيشك يامحمد ؟!

(يضحك ويضحك معه الناس)

أبو لهب : (للصبي علي) تباً لك ولمن أتبعت ! .

الأعرابي : دع الصبي فهو لا يفقه ما يصنع .

أبولهب : تباً لهما من ضالين !

(تصرف قريش مستهزئة بمحمد

(محمد يقف لحظة مطرقا مدحوراً
وإلى جانبه على دمع العينين . . .)

محمـــد : (يرفع رأسه ويتلو فى غيظ) تبت يدا أبى لهب وتب !

ماأغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب . . .

المنظر الثامن

« رجال من أشراف قريش يجتمعون في الكعبة وهم أبو جهل وأبو سفيان وأمية بن خلف وغيرهم .... »

أبو جهل . أسمعتم بخبر هذا الدين الذى جاء به هذا الرجل ؟

أميـــة : (يشير إلى أصنام الكعبة) محمـــداً ؟ إنه يبغض آلهتنا هؤلاء .

أبو سفيان : ولقد اتبعه بعض القوم . وأنهم ليستخفون بصلاتهم فى شعاب مكة .

أبو جهل : لقد علمت أن محمداً قد اتبعه أبو بكر وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وآخرون ، وأن سعداً استخفى البارحة فى نفر من أصحاب محمد فى شعب من شعاب مكة . فظهر عليهم نفر من قومنا وهم يصلون . فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد

رجلا من قومنا بلحى بعير فشجه .

أبو سفيان : إنها لفتنة يحدثها محمد .

أميـــة : بل هي بدعة يحدثها في العرب بنو عبد مناف .

أبو سفيان : لعلهم يريدون أن يظهروا ، ويذهبوا بها فضلا على العرب كافة .

أبو جهل : (صائحا) هذا لن يكون . لقد تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك مثل هذه ؟ ! كلا ، واللات لا نؤمن به أبداً . ولا نصدقه

أميـــة : نعم ، واللات لا نؤمن به أبداً

أبو سفيان : هلموا إلى أبي طالب نكلمه في أمر ابن أخيه ، قبل أن يستفحل الخطب .

أبو جهل : نعم . هلموا بنا !

(ينهضون)

المنظر التاسع

« فى دار أبى طالب ، وهو جالس مع
أبى جهل وأبى سفيان وأمية الخ »

أبو جهل : يا أبا طالب ! إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإن ابن أخيك قد عاب ديننا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه . فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيك أمره .

أبو طالب : يابنى قومى ! يعظم علىَّ فراقكم وعداوتكم . غير أنى لا أطيب نفساً باسلام ابن أخى لكم ولا خذلانه .

أبو سفيان : لى رأى ، أتسمع منى؟

أبو طالب : قل يا أبا سفيان .

أبو سفيان : مادمت لاتريد خذلان ابن أخيك ، فهذا عمارة ابن
الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله
ونصره واتخذه ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك
هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة
قومك ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

أميــة : نِعْمَ الرأى !

قريش : (كلهم فى صوت واحد) نِعْمَ الرأى ! نِعْمَ الرأى !

أبو طالب : والله لبئس ماتسومونى ! أتعطونى ابنكم أغذوه لكم ،
وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون أبداً .

أبو جهل : والله ياأبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على
التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

أبو طالب : واللهما أنصفونى، ولكنك قدأجمعت خذلانى ومظاهرة
القوم علىّ . فاصنع مابدا لك .

أبوجهل : (فى غضب) هلموا بنا ! هلموا !

(ينصرف معه جماعة قريش . ويبقى
أبو طالب مطرقا مفكراً محزونا)

محمــد : (يقبل عليه) عماه مالك ؟

أبو طالب : (متغير الصوت) يا ابن أخي ! إن قومك قد جاؤني في أمر هـــذا الدين الذي جئت به، وأجمعوا على فراقي وعداوتي ، فابق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

محمـــد : (في قوة وعزم) ياعم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته .

(لا يتمالك فيستعبر باكيا)

أبو طالب : (يرق له) أتبكي ؟

(محمد يذهب منصرفا)

أبو طالب : (يناديه) أقبل يا ابن أخي !

محمـــد : (يقبل) أخاذل أنت؟

أبو طالب : (في عزم وقوة) كلا ، إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

المنظر العاشر

« محمد واقف على منازل قبائل
بني عامر في موسم الحج . . . »

محمد : يابنى عامر ! إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ، ولاتشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوانى وتمنعونى ، حتى أبين عن الله مابعثنى به .

(يأتى أبو لهب من خلفه)

أبو لهب : يا بنى عامر ! ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وخلفائكم من الجن الى ماجاء به

غـــلام : (من بين الناس المستمعين يسأل أباه هامساً) من هذا الرجل يا أبت ؟

والد الغلام : (همسا) هذا فتى من قريش يزعم أنه نبي .

الغـــلام : ومن هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول

والد الغلام : هذا عمه عبد العزى أبولهب .

ابن فراس : (وهو أحد الناس يقول لمن معه معجباً بمحمد) انه هذا الفتى يريد أن يحدث حدثاً فى العرب !

أعـــرابى : (فى إعجاب) نعم إنه لفتى . . ! !

ابن فراس : نعم . انظر إلى عينيه وما يشع فيهما من عزم وقوة ؟ !

الأعـــرابى : إنه يتكلم كلام المستوثق من أمره ، المؤمن بما يقول .

ابن فراس : (كالمخاطب لنفسه ناظراً إلى محمد) نعم والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب !

(يتقدم ابن فراس الى محمد)

الأعـــرابى : (لابن فراس) أين ؟ أتذهب إليه ؟

ابن فراس : (صائحاً) يامحمد ! أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ، أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ ..

محمـــد : (يلتفت إلى ابن فراس) الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء .

ابن فراس : (فى غضب) حيث يشاء ! ؟ أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ كلا . . . لاحاجة لنا بك . انصرفوا عنه أيها الناس .

(ينصرف عن محمد مع الناس
ويبقى محمد وحيداً حزيناً . . .)

المنظر الحادي عشر

« نفر من قريش في حي من
أحياء مكة ، بينهم الوليد بن
المغيرة وأبو لهب . . . . . »

الوليد : يامعشر قريش ! إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً .

أبو لهب : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به .

الوليد : بل أنتم فقولوا اسمع !

أبو لهب : نقول كاهن .

الوليد : لا واللات ما هو بكاهن . لقد رأينا الكهان ، فما هو

أبو لهب : نقول مجنون .

الوليد : ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه . ولاتخالجه ولاوسوسته .

أبو لهب : نقول شاعر .

الوليد : ما هو بشاعر . لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

أبو لهب : نقول ساحر .

الوليد : ما هو بساحر . لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولاعقدهم .

قريش : (صائحين فى حيرة) فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ ؟

الوليد : واللات إن لقوله لحلاوة ! و ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته !

المنظر الثاني عشر

« أشراف قريش مجتمعون في
حجر الكعبة . . . . . »

أبو سفيـــان : أو ينزل الوحي على هذا الرجل ، وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمر وسيد ثقيف ؟

أبو جهــل : أو تصدق أنه ينزل عليه وحي يا أبا سفيان ؟ إنه لساحر فرق جماعتنا وسب آلهتنا .

أبو سفيـــان : لو أن عمه أبا طالب أسلمه الينـــا . . . لكنه لا يريد أن يسلمه لشيء أبداً .

عقبة بن أبي معيط : إن ذكره قد بلغ المدينة .

أبو جهــل : وغداً يبلغ ذكره بلاد العرب كلها .

أمية بن خلف : أعلمتم أنه يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب
يدعوهم إلى دينه ؟

عقبــــة : نعم ، وإنه ليزعم لهم أن بعـــد الموت بعثاً وجنة
يدخلها من تابعه . وناراً يصلى فيها من خالفه .

أبو جهـــل : انك جالسته وسمعت منه، لقد بلغنى ذلك ياعقبة. وإن
وجهى من وجهك حرام وإن أنت جلست إليه أو
سمعت منه أو لم تأته فتتفل فى وجهه !

عقبــــة : سأتفل فى وجهه .

أبو سفيـــان: (ينظر الى مدخل الكعبة) صه ! هو مقبل .

أبو جهـــل : (ينظر) نعم ، وخلفه صاحبه أبو بكر .

أميــــة : (ينهض) انتظروا حتى أغمزه ببعض القول .

أبو جهـــل : افعل .

أميــــة : (يلتقط من الأرض عظما بالياً قد ارفت ويعترض
محمداً . . .) يا محمد ! أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد
ما أرم ؟؟!

(ثم يفته بيده ثم ينفخه فى وجه النبى ،
فيمسح النبى عن وجهه ما أصابه ، بينما
تضحك قريش ضحكا عالياً ....)

أبو بكر : (فى حزن أصفر الوجه خافت الصوت) رحمتك اللهم !

محمـــد : (يلتفت الى أمية) نعم أنا أقول ذلك . يبعثه الله واياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار .

أميـــة : (يدنو من محمد) أتقول يبعثنى الله ربك بعـــد ما أكون هكذا ؟؟

محمـــد : نعم .

أميـــة : (يضحك ملء فيه) يبعثنى بعد ما أكون مثل هذه العظام التى أرمت ؟!!

محمـــد : (يتلو) وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون ..

أميـــة : (متخبثا) يا محمد ! هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد . فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه . وان كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه؟

محمـــد : (يتلو) قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ،
ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم
عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين .

عقبـة : (يدنو من النبى) نعم ، لنا ديننا وهو خير من دينك هذا .

(ثم يتفل فى وجه النبى فلا يحرك
النبى ساكنا ، ويصفر وجهه)

أبو بكر : (همسا وقد أخذته رعدة) اللهم عونك !

محمـــد : (يتلو) ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلاً .

(ينصرف)

أبو جهل : (صائحاً) أنتركه بعد أن عاب آلهتنا ؟ !

عقبـة : (فى نفر من قريش ينهضون الى النبى) يا محمد ! أنت
الذى تقول أن إلهك خير من آلهتنا ؟

محمـــد : (يلتفت اليه) نعم أنا الذى أقول ذلك .

عقبـة : (للرجال) لاتدعوه !

(عقبة ونفر من قريش يقومون الى محمد
ويأخذ كل رجل منهم بجمع ردائه)

أبو بكر : (صائحا مرتاعا) ماذا تريدون به ؟ ما تريدون بـه ؟

عقبـة : (للرجال) اقتلوه !

أبو بكر : (يقوم دون النبي باكياً) أتقتلان رجلا يقول ربي الله ؟!

(يفدي محمداً بنفسه، فيمسكون به
ويصدعون رأسه ويجبذون لحيته)

أبو سفيان : (صائحا) دعوا محمداً . ! دعوا محمداً ! . هذا عمه
حمزة متوشحاً قوسه راجعاً من قنصه .

(الرجال يتركون محمدا وأبا بكر
يذهبان لشأنهما . . . .)

أميــــة : (يلتفت) حمزة أعز رجال قريش . ! . . أين ؟ (يبصر
حمزة مقبلا) نعم . إنه إذا رجع من قنصه ، لا يصل
إلى أهله حتى يطوف بالكعبة .

أبو جهل : إنه ليس على دين ابن أخيه .

عقبــــة : أو قد تبع هذا الفتى الضال الا السفهاء والغلمان !

(يقبل حمزة عم النبي متوشحا قوسه)

امرأة : (تعترض حمزة وتقول له همسا) يا أبا عمارة !

حمزة : مالك ؟

المرأة : (هامسة) لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم
وأصحابه !! رأوه هاهنا الساعة ، فآذوه وسبوه وبلغوا
منه مايكره ثم انصرف عنهم محمد ولم يكلمهم .

حمـــزة : (فى عينيه الغضب) أفعلوا به هذا . وأنا عمه ؟ !

(ثم يلتفت فيرى القوم فيتجه اليهم)

أميـــة : (همسا لأصحابه) إن حمزة مقبل نحونا .

أبو جهل : (فى شيء من الرهبة) أرى فى عينيه . . .

أميـــة : نعم إنه البأس . . .

حمـــزة : (فى غضب لأبى جهـــل) مـا ذا لقى ابن أخى منك يا أبا الحكم ؟

أبو جهل : أنك لغاضب ؟!

حمـــزة : أتشتمه ؟ ،

أبو جهل : وما يعنيك من أمره ؟

حمـــزة : (فى صيحة شديدة) ما يعنينى من أمره ! أنا على دينه ، أقول ما يقول . فردّ ذلك على إن استطعت ! . .

(ثم يرفع قوسه ويضرب بها أباجهل فيشجه شجة منكرة . . . .)

عقبـــة : (صائحا) أيها الرجال ! قوموا إليه . !. قوموا إليه . !.

نفر من قريش يقومون لنصرة (أبى جهل . . . .)

أبو جهل : (لأصحابه فى هدوء) دعوا أبا عمارة ! فأنا واللات قد سببنا ابن أخيه سبآ قبيحاً .

المنظر الثالث عشر

«محمد جالس وحده فى المسجد وأشراف قريش مجتمعون عن كثب يتهامسون.»

قريش : ما الرأى فى محمد، إن عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينـــا ؟

عتبة بن ربيعة: أجل، ولا قبل لنا بأبى طالب

أبو جهـــل : ما رأيت مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل ! إنى لأخشى أن يتابعه بعض رؤوس القوم فيعز ويمتنع، ويفشو أمره فى القبائل.

أبو سفيـان : ما أحسبه يا أبا الحكم الا نائلاً منا ان تركناه فيما هو فيه، فلقد أسلم بالأمس حمزة وهو أعز فتى فى قريش..

قريش : وما الرأى؟

عتبـــة : (تبدو له فكرة) يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟

قريش : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه.

(يقوم عتبه الى محمد ويجلس إليه ...)

عتبـــة : (للنبى) يا بن أخى. إنك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم. فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها؛

محمـــد : قل يا أبا الوليد، أسمع.

عتبـــة : يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت انما تريد به شرفاً، سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا وإن كان هذا الوحى الذى يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن

نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

(يسكت عتبه وينظر إلى النبى)

محمـــد : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

عتبـــة : نعم .

محمـــد : فاستمع منى !

عتبـــة : أفعل .

محمـــد : (يتلو) بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً. فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون .

(عتبة ينصت ويلق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع ...)

محمـــد : (يمضى فى التلاوة) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ، قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض

فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل
فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى
أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى
دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا
طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل
سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم ، فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود ، اذ جاءتهم الرسل من أيديهم ومن
خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة
فانا بما أرسلتم به كافرون ، فأما عاد فاستكبروا فى الأرض
بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذى
خلقهم هو أشد منهم قوة وكانو بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا
عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب
الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا
ينصرون ، وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانو يكسبون

(يسجد : . . . . . .)

(عتبة يطرق مأخوذاً كأنما
على رأسه طائر واقع . . .)

محمد : (يرفع رأسه ويلتفت إلى عتبة) قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك .

عتبــة : (كالمخاطب لنفسه وهو يقوم الى أصحابه . . .) نعم ، نعم !!

أبو جهل : (لقريش ناظراً الى عتبة مقبلا عليهم . .) أحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به)

(عتبة يأتي ويجلس اليهم ساكتا)

أبو جهل : ماوراءك يا أبا الوليد ؟

عتبــة : (سابح الفكر) ورائى . . .

أبو جهل : تكلم !

عتبــة : (فى صوت متغير) ورائى أنى سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، واللآت ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .
يامعشر قريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه .

(قريش يعروها دهش ويصمت الجميع . . .)

أبو جهل : [illegible]

يا أبا الوليد بلسانه .

عتبـــة : واللات ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ .

قريش : أهـــذا رأيك فيه ؟ !

عتبـــة : هـــذا رأيى فيـه ، فاصنعوا ما بدا لكم . . . قـد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد . لقد كان محمد فيكم غلاماً حـــديثاً ، أكرمكم خلقاً . وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم كاذب وساحر ومجنون !

(النضر بن الحارث يتقدم . . .)

النضر : بماذا جاءنا محمد ؟ واللات ما محمد بأحسن حديثاً منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، دعونى أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار وملوك فارس ، إنها يا أبا الوليد خير من قوله الذى سمعت منه .

(لا يأبه أحد به — صمت)

أبو سفيان : (بعد لحظة) يامعشر قريش ! عندى رأى .

الجميع : ما هو يا أبا سفيان ؟

أبو سفيان : فلنبعث أحدنا الى أحبار يهود بالمدينة يسألهم عن محمد وصفته ، فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس

المنظر الرابع عشر

« في المدينه — عقبه بن أبي معيط
والنضر بن الحارث بين أحبار اليهود »

النضر : (لحبر كبير بين الأحبار) إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؟

الحبر : سلوه عن شيء . فإن أخبركم به فهو نبي مرسل .

النضر : ما هو ؟

الحبر : سلوه عن الروح ما هي .

عقبة : فإن أخبرنا بذلك ؟

الحبر : فاتبعوه فإنه نبي .

النضر : وإن لم يفعل ؟

الحبر : فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم

المنظر الخامس عشر

« فى مكة — قريش مجتمعة فى حى من أحيائها ، يقبل النضر وعقبة . . . . »

النضر : يا معشر قريش ! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .

أبو سفيان : (من بين القوم) ماذا ؟

النضر : قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن شىء أمرونا به ، فإن أخبركم عنه فهو نبى ، وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم .

أبو جهل : (يلتفت) ها هو ذا محمد فى طريقه الى الكعبة !

(محمد يقبل ماشيا فى سكون)

أبو سفيان : (صائحاً) يا محمد !

أبو سفيان : (ينهض ويعترض النبى) ان كنت نبياً مرسلا فاخبرنا عما نسألك عنه !

محمـــد : (ينظر اليه فى صمت) ؟

أبو سفيان : (للنضر وعقبة) سلاه عما اخبرتما به !

النضر : (يتقدم الى النبى) يا محمد ! اخبرنا عن الروح ماهى ؟

محمـــد : الروح ؟!

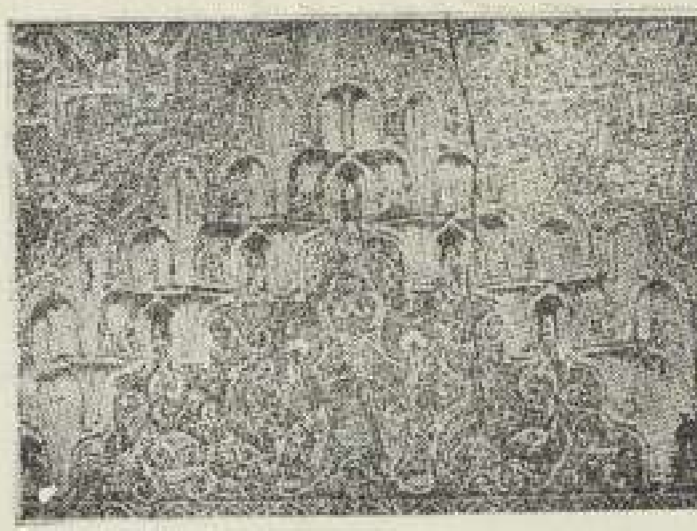
النضر : نعم . .

محمـــد : (كالمخاطب لنفسه) الروح ؟!

النضر وعقبة : (معا) نعم ، نعم ، الروح .

محمـــد : اخبركم بما سألتم عنه غداً .

(ثم يتركهم ويسير فى سبيله
مطرقاً مفكراً . . . . .)



المنظر السادس عشر

« فى شعاب مكة — النبى ساجد
عند غار حراء . . . .
الراعيان ينظران إليه عن كثب »

الراعى الأول : (همسا لصاحبه) إنه يأتى كل يوم فيسجد ويرفع يديه إلى السماء ، كأنما هو يستنجد ويستعين ، أكبر ظنى أنه فى بلاء عظيم ؟

الراعى الثانى : أرى فى وجهه حقاً أنه محزون وأنه فى بلاء

(ينصرفان — ويقبل
أبو بكر وخلفه بلال)

بـــلال : (همسا لمولاه أبى بكر) لقد أرجف أهل مكة وقالوا

« وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها ولا يخبرنا بشيء » !

أبو بكر : (فى قلق) قل لهم يا بـــلال أن اصبروا . إن محمداً لا بد موف وعده .

بـــلال : لقد سمعت بعض الناس يزعم أن الوحى انقطع عن النبى ، وأن ربه قد نسيه .

أبو بكر : (فى حزن وهو ينظر إلى النبى الساجد عند الغار) إن الله لا ينسى نبيه .

بـــلال : (فى حرارة ناظراً إلى النبى) اللهم رحمتك !

أبو بكر : (كالمخاطب لنفسه) اللهم خفف عنه ! إنه ليشق عليه ما يتكلم به أهل مكة .

(ينصرف مع بلال)

محمـــد : (وحيداً فى بلاء يستعين ربه) أى رب ! إليك أشكو بلائى . أى رب ابعث إلىّ وحيك ابعث إلىّ وحيك ! لقد سألونى عن الروح ولا أعلم بم أجيب . أى رب ، أنسيتنى ؟ اللهم إنى لفى بلاء ! اللهم إنى لفى بلاء .

(يسمع صوتاً فيرفع رأسه فيرى جبريل

: جبريل ! جبريل !

جبريل : محمـــد !

محمـــد : جبريل ! لقد احتبست عنى يا جبريل ، حتى سؤت ظنا .

جبريل : وما نتنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً . . . ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله : واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً . . . ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلاً . . .

المنظر السابع عشر

« بعد غروب الشمس ....
أشراف قريش عند ظهر الكعبة »

أبو سفيان : أسمعتم ما أجاب به محمد ! « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى . . . »

أميـــة : نعم ، وهو يزعم أن ربه أنزل عليه جبريل بهذا . . .

أبو جهل : واللات هذا القول ما هو بالجواب عما سألناه ، ألا ترون أنه قد عجز . ؟

عتبة : يا أبا الحكم ! أتسمع منى ؟

أبو جهل : قل يا أبا الوليد !

عتبـــة : والله ما هو بعاجز ، وما كذبكم فى هذا شيئاً ، إن الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر . لقد أصدقكم ، وما كان

عليه لو أنه نبي كاذب أن يقول لكم فى أمرها قولا
أو يصف لكم وصفاً يسكتكم به ؟!

أبو جهل : قلت لك يا أبا الوليد إنه قد سحرك!

أبو سفيان : يا أبا الوليد! إن وجهى من وجهك حرام، إن أنت قلت
أمامه الساعة مثل هذا الكلام!

أمية بن خلف: أو قد بعثتم اليه ؟

أبو سفيان : نعم ، قد بعثنا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك
ليكلموك .

أمية بن خلف: أجل ، ابعثوا إليه فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.

أبو جهل : لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر أبا الوليد.

أبو سفيان : (ينظر) إنه مقبل سريعاً

أميـــة : (ينظر) أرى فى وجهه المستبشر إنه يظن أن قد
بدا لنا فيه بداء.

(محمد يحضر ويجلس إليهم
مستبشراً طامعاً فى إسلامهم)

أبو سفيان : (لأبى جهل) كلمه أنت يا أبا الحكم .

أبو جهل : (لمحمد) يا محمـــد ! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا

واللّات ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك فإن كنت إنما جئت بهــذا الحدث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك ، بذلنالك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

(يسكت وينظر إلى النبى)

محمد : مابى ما تقولون : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولاً وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهـــو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قريش : (تتهامس) إنه غير قابل .

أبو جهل : يا محمد! إن كنت غير قابل شيئاً مما عرضناه عليك فانك
تعلم أنه ليس من الناس أحـــد أضيق بلداً ولا أقل ماء
ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك
به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا. وليبسط لنا
بلادنا وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشــام والعراق
وليبعث لنا من مضى من آبائنا فنسألهم عما تقول أحق
هو أم باطل؟ فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك
وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول .

محمـــد : ما بهذا بعثت اليكم ، انما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد
بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى
الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى
يحكم الله بينى وبينكم .

قريش : (تتهامس) إنه غير فاعل .

أبو جهل : فاذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث
معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك .

أبو سفيان : وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب

وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغى فإنك تقوم بالأسواق

تقوم و تلتمس المعاش كما نلتمسه .

أميـــة : نعم ، فليجعل لك قصوراً وكنوزاً حتى نعرف فضلك

ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم :

محمــــد : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت

إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا

ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردّوه

على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قريش : (تتهامس) فليرنا ما يتوعد :

أبو جهل : نعم ، أرنا ما تتوعد ! أسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ،

فإن ربك ان شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

محمــــد : ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل .

أبو سفيان : يا محمد ! أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما

سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك

ما نراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم

نقبل منك ما جئتنا به ؟

أبو جهل : يا محمد ، إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا الذى جئت به رجل باليمامة يقال له الرحمن وأنا واللات لانؤمن بالرحمن أبداً ،فقد أعذرنا اليك، وإنا واللات لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا .

أميـــة : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله .

أبو سفيان: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

محمد يقوم عنهم يائسا ويقوم خلفه
عبدالله بن أبى أمية . . . . .)

عبد الله : يا محمد ، عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك عن الروح ما هى فلم تأت بجواب مفيد ؛ ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل ، فوالله لاأومن بك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى

لك أنك كما تقول . وأيم الله أن لو فعلت ذلك

ما ظننت أنى أصدقك .

(محمد ينصرف حزينا آسفا)

أبو جهل : يامعشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ماترون من عيب

دينا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد اللات لأجلسن له غداً

بحجر ما أطيق حمله . فاذا سجد فى صلاته فضخت به

رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك

بنو عبد مناف مابدا لهم .

الجميع : واللات لانسلمك لشىء أبداً ، فامض لما تريد !

المنظر الثامن عشر

« أبو طالب وقد حضره الموت »

أبو طالب : شربة ماء !

(أخوه العباس على رأسه يسقيه)

أبو طالب : (يلتفت) من هذا ؟

العباس : أين ؟

(أبو طالب يشير إلى الباب...)

العباس : (يتوجه إلى الباب ينظر ثم يعود) هو أبو جهل في رجال من أشراف قومه ، ما أحسبهم إلا يمشون إليه في أمر محمد ابن أخيك .

أبو طالب : أدخلهم علىّ

العبـاس : (يدخلهم ويهمس لهم) رويداً ! ترفقوا به !

أبو جهل : (يدنو من الفراش) يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ،فادعه نخذ له منا وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننـــا وندعه ودينه .

أبو طالب : (للعباس فى صوت ضعيف) محمد !

العبـاس : (يلتفت إلى الباب) هو مقبل !

(يدخل محمد)

أبو طالب : (لمحمد) يا ابن أخى ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك .

محمـــد : نعم يا عم ، كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم .

أبو جهل : نعم وأبيك عشر كلمات .

محمـــد : تقولون ، لا إله إلا الله،وتخلعون ما تعبدون من دونه!

(يصفق القوم بأيديهم استنكاراً)

أبو سفيان : (نافد الصبر يتهيأ للانصراف مع بعض القوم) والله
ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا
وامضوا على دين آبائكم

العاص بن وائل : نعم ، دعوه . . . فانما هو رجل أبتر لا عقب له ،
لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه .

(يفرجون ويخرجون)

أبو طالب : (للنبي بعد خروج قريش) والله يا ابن أخي
ما رأيتك سألتهم شططاً .

محمد : (ناظراً إليه طامعا فى اسلامه) أى عم ، فأنت فقلها ،
أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة .

أبو طالب : يا ابن أخى ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى
أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها
جزعاً من الموت لقلتها . لا أقولها الا لأسرك
بها . . .

(يقترب منه الموت)

العباس : أخى . . .

العبـــاس : أين ؟

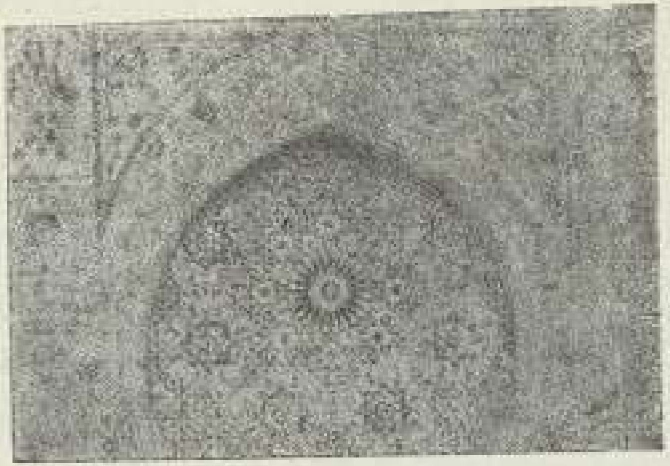
(أبو طالب يغمض عينيه
ويحرك شفتيه . . . . .)

العبـــاس : (ينحني عليه ، ويصغي إليه بأذنه ثم يهمس لمحمد . . .)

يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته

أن يقولها .

محمـــد : (بلا حراك) لم أسمع .



المنظر التاسع عشر

« بيت النبى فى مكة »

بلال : (يدخل باكيا) واحزناه واضيعتاه ! . .

جارية : ويحك يا بلال . ما بك ؟

بلال : قاتلهم الله !

الجارية : ما يبكيك يا بلال ؟

بلال : قاتلهم الله !

الجارية : من هم ؟

بلال : أغروا أحد سفهائهم فاعترض رسول الله وحثى على رأسه

الجارية : التراب ؟

بلال : نعم .

الجارية : قريش ؟

بلال : نعم قريش صنعت هذا .

الجارية : نعم اليوم ؟

بلال : واحزناه عليك يا أبا طالب . من ذا يمنع اليوم النبي وينصره ؟

الجارية : صه ودع البكاء عنك يا بلال ، لا تسمعك مولاتي . انها في فراشها اليوم تشكو .

بلال : تشكو ؟ زوج النبي ، خديجة ؟ !

الجارية : (ترى فاطمة بنت النبي مقبلة) صه !

(النبي يدخل والتراب على رأسه)

بلال : (همسا) رسول الله !

فاطمة : (تلتفت الى هيئة النبي وتصيح) أبي ! من صنع بك هذا ؟ !

محمد : (في صوت المتعب) هوّني عليك !

فاطمة : أهي قريش ؟

محمد : (كالمخاطب لنفسه) نعم ، والله ما نالت منى قريش شيئاً
أكرهه حتى مات أبو طالب .

فاطمه : (تبكى) أبتاه !

محمد : (يلتفت اليها) لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك .

فاطمة : اجلس ، أغسل عنك هذا التراب !

المنظر العشرون

« أبولهب وأبوسفيان يتقابلان
طريق بمكة . . . . »

أبو لهب : أعلمت يا أبا سفيان ؟

أبو سفيان : ماذا ؟

أبو لهب : خديجة فى الموت ؟

أبو سفيان : زوج محمد ؟

أبو لهب : أجل ، عما قليل تذهب أيضاً تلك التى كانت تشد أزره وتعز شأنه

أبو سفيان : عسى أن يلحق بها أولئك السفهاء الذين تابعوه .

أبو لهب : لقد رأيت فيهم رأيا .

أبو سفيان : ما هو ؟

أبو لهب : إذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشترى شيئاً من الطعام لعياله سأقوم فأقول « يامعشر التجار غالوا على محمد وأصحابه حتى لا يدركوا معكم شيئاً فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فأنا ضامن أن لا خسار عليكم » فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجـــوع وليس فى يديه شىء يطعمهم به !

المنظر الحادي والعشرون

• في دار النبي — خديجة على فراش
الموت وإلى جوارها محمد وهو مطرق في
حزن — محمد يسمع صوتا فيرفع رأسه
فيرى جبريل . . . .

محمـــد : (لخديجة وهو ناظر الى السماء) ياخديجة ! هذا جبريل ، يقرئك السلام من ربك ! . .

خديجة : (في صوت ضعيف) لله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام !

محمـــد : (يثوب الى نفسه ويلتفت الى خديجة) أمرت أن أبشرك ببيت من قصب في الجنة ، لا صخب فيه ولا نصب

خديجة : هل في الجنة قصب ؟ !

محمـــد : إنه قصب من لؤلؤ مجبى .

(صمت . . . . .)

خديجة : ما أشق الفراق !

محمـــد : (مطرقا) سيكون اللقاء فى الجنة إن شاء الله .

خديجة : (فى تنهد عميق) إن شاء الله

محمـــد : تكرهين ما أرى منك ياخديجـــة . وقد يجعل الله فى الكره خيراً

خديجة : خيراً إن شاء الله .

محمـــد : أشعرت أن الله قد أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون !

خديجة : آلله أعلمك بهذا يارسول الله ؟

محمـــد : نعم .

خديجة : (فى صوت ضعيف) بالرفاء والبنين !

(تلفظ الروح)

محمـــد : (جزعا) ياخديجة ! ياخديجة ! ياخديجة !

المنظر الثاني والعشرون

« في بطحاء مكة وقد حميت الظهيرة ، رجال ونساء من أتباع محمد يضربون ويعذبون ويعلو صياحهم .... »

بلال : (يمر بامرأة ويسألها) لماذا يُصنع بهم هذا !

المرأة : (همسا) ليفتنوهم عن دينهم .

بلال : قريش فعلت هذا اليوم !

المرأة : نعم لقد عدت قريش على من اتبع النبى ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من أصحاب محمد المستضعفين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب كما ترى وبالجوع والعطش وقد اشتد الحر .

بلال : ويل لهم ! ويل لهم !

المرأة : (تلتفت الى صوت قادم) صه ! هذا أميّة بن خلف !

(تنصرف المرأة سريعا)

بلال : (لنفسه) أميّة ! ويل لى !

أميّة : (يرى بلالا) هذا أنت يا ابن الحبشية !

عقبة : (وهو يسير الى جانب أمية) انه من أتباع محمد المخلصين !

أميّة : (لرجال معه) اطرحوه على ظهره فى هذه البطحاء !

(يطرحه الرجال فى الرمضاء تحت
الشمس الحامية ....)

بلال : (صائحا) اتقوا غضب الله ! اتقوا غضب الله !

أميّة : (لرجاله مشيراً الى صخرة كبيرة) ضعوا على صدره هذه
الصخرة العظيمة !

(بلال لا ينبس وهم يضعون على صدره الصخرة)

أميّة : (لبلال وهو تحت الصخرة العظيمة فى بلاء عظيم)
لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد
اللاّت والعزى !

بلال : (ناظراً الى السماء وهو يتلوّى من الألم) أحدٌ ، أحدٌ !!

ورقة بن نوفل : (يمر ببلال ويهمس فى أذنه ! أحد ، أحد . والله يا بلال .

أميّة : دع هذا العبد وشأنه يا ورقة !

ورقة : (يقبل على أمية) أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا ،
لأجعلن قبره كقبور الصالحين والشهداء !

(ينصرف)

عقبـــة : (لبلال) لا تزال هكذا حتى تترك دين محمد وتعبد
آلهتنا !

بـــلال : (صائحاً) أحَد . أحَد !

(يأتي أبو بكر)

أبو بكر : (لأمية بن خلف) ألا تتق الله فى هذا المسكين ! حتى
متى !

أميّة : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى !

أبو بكر : أفعلُ . عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على
دينك ، أعطيكه به .

أميّة : قد قبلت .

أبو بكر : هو لك ردّ على بلالاً أعتقه

(يطلقون له بلالا فينصرف به)

أميّة : (لرجاله) فليظل أصحاب محمد هؤلاء فى هذا العذاب .

(ينصرف هو وعقبة — يقبل النبى
من طريق أخرى ومعه أصحابه ..)

محمد : (همسا للمعذبين) اصبروا واثبتوا!

أحد المعذبين : (همسا) يا رسول الله، ألا نقاتلهم فندفع عن أنفسنا الأذى؟

محمد : لم أومر بالقتال.

أحد المعذبين : وهل نصبر طويلاً على هذا البلاء؟

محمد (همسا) لو خرجتم الى أرض الحبشة، فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد. وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

المنظر الثالث والعشرون

« جماعة من قريش بينهم عمر ابن الخطاب والشاعر لبيد والوليد وعقبة وابن مظعون يتسامرون ويحتسى بعضهم الخمر عند اسحق الخمار .... »

عقبـــة : أعلمتم الخبر ؟ لقد هاجر كثير من أتباع محمد إلى الحبشة هرباً مما هم فيه من البلاء .

عمـــر : نعم ، قد علمنا وسنرسل فى أعقابهم بعضنا إلى النجاشى كى يسلمهم الينا

عقبـــة : إن محمداً لم يقدر على أن يمنع أصحابه مما هم فيه

ابن مظعون : خسئت !

عقبـــة : عجباً لك يا ابن مظعون ! ما الذى أقعدك عن الخروج إلى الحبشة مع من خرج ؟ !

الوليد : أنا أجيره وأحميه .

عقبة : حقاً ، إنه آمن فى جوارك .

عمر : دعونا من هذا الحديث . أنشدنا شعراً يالبيد ؟

لبيد : أين الخمر ؟

عمر : (ينادى الخمار) هات خمرك يا إسحق !

ابن مظعون : (يلتفت) أرى فى الظلام رحلاً مقبلاً ، عليه رجل وامرأة .

عقبة : (ينظر) إنهما ولاريب من المهاجرين

عمر : (ينظر مليا) وى ! هذا عامر وأم عبد الله !

(ينهض ويتجه إليهما)

عامر : (على الرحل يرى عمراً مقبلا) ألمح أحد المشركين، يدنو منا !

أم عبد الله : (تلتفت) هذا والله ابن الخطاب !

عمر : (يقترب منهما) إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟

أم عبد الله : نعم ، والله لنخرجن فى أرض الله ، لقد آذيتمونا، وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجاً .

(ويطرق لحظة ثم يقفل راجعا الى مكانه)

أم عبد الله : (لعامر) يا أبا عبد الله ، أرأيت ابن الخطاب ورقته وحزنه علينا ؟

عامر : أطمعت فى إسلامه ؟

أم عبد الله : نعم .

عامر : لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب !

الوليد : (لعمر) أين ذهبت يا عمر ؟ استمع إلى شعر لبيد .

عمر : نعم ، إنى مصغ قل يا لبيد !

لبيد : (ينشد) ألا كل شىء ما خلا الله باطل . . .

ابن مظعون : (مقاطعا فى حماسة) صدقت !

لبيد : (يمضى فى الانشاد) وكل نعيم لا محالة زائل .

ابن مظعون : (مقاطعا) كذبت ! نعيم الجنة لا يزول .

لبيد : (غاضبا) يا معشر قريش ! والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟

عقبة : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن

ابن مظعون : شهد الله من السفيه !

عقبــــة : قبحت وقبح دينك . لو لم يكن أبو عبد شمس يجيرك ويحميك للطمت عينك .

ابن مظعون : (للوليد) يا أبا عبد شمس ! قد رددت اليك جوارك .

الوليـــد : لمَ ؟

ابن مظعون : إنى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره .

عقبــــة : أرنى إذن كيف يجيرك ربك ؟

(يلطمه على عينه)

ابن مظعون : (يضع يده على عينه وقد لطمها عقبة فخضرها) آه !

الوليـــد : لقد كانت عينك عما أصابها غنيـــة . فقد كنت فى جوار منيع !

ابن مظعون : (يرفع رأسه) بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله . وإنى والله لفى جوار من هو أعز منك وأقدر .

لبيـــد : يامعشر قريش ! هلموا ، أنشدكم فى غير هذا المكان !

(ينصرفون ويتركون ابن مظعون وحده يعالج عينه — يمر به أبو بكر وقد شد متاعه

ابن مظعون : (صائحا به) أبا بكر ؟ !

أبو بكر : لبيــــك .

ابن مظعون : أراحل أنت يا أبا بكر ؟

أبو بكر : نعم ، لقد ضاقت على مكة وأصابنى فيها الأذى ورأيت من تظاهر قريش على رسول الله وأصحابه مالا طاقة لى به . ولقد هاجر كثير من المؤمنين .

ابن مظعون : أو استأذنت النبى ؟

أبو بكر : نعم . لقد استأذنت رسول الله فى الهجرة فأذن لى .

ابن مظعون : (وهو ينصرف عنه) على بركة الله يا أبا بكر !

أبو بكر : (يلتفت الى عين ابن مظعون المصـــابة) ما بعينك يا ابن مظعون ؟

ابن مظعون : بعض ذلك الأذى الذى يصيبنا من المشركين .

أبو بكر : من ؟

ابن مظعون : عقبة عدو الله . وليس لى الآن من يجيرنى غير ربى - وما أرى والله إلا أن أرحل . . .

أبو بكر : نعم ، اخرج مثلى إلى أرض الحبشة . . .

ابن مظعون : نعم . سأشد متاعى إلى رحلى وأنطلق .

(ينصرف)

(أبو بكر يحث راحلته على المسير ويمشى قليلا فيقابله ابن الدغنة سيد الأحابيش)

ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟

أبو بكر : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على .

ابن الدغنة : ولِمَ ! فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ، إرجع وأنت فى جوارى أحميك .

أبو بكر : قبلت .

ابن الدغنة : (يعود بأبى بكر وهو يصيح) يا معشر قريش ! إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير .

قريش : (يجرون الى ابن الدغنة) أقد أجرت هذا الرجل ؟

ابن الدغنة : نعم وأنا سيد الأحابيش . فلا يعرض له أحد إلا بخير .

عقبة : (يبرز من بين رجال قريش) يا ابن الدغنة ! إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل اذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى وكانت له هيئة ونحو ، فنحن

تخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ،
فانهم ليقفون عليه عند باب داره يعجبون لما يرون
من هيئته وقراءته ، فمره أن يدخل بيته فليصنع
فيـــه ما شاء .

ابن الدغنة : (يلتفت إلى أبى بكر) يا أبا بكر إنى لا أجيرك لتؤذى
قومك . إنهم يكرهون مكانك الذى أنت به ، ويتأذون
بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

أبو بكر : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟

ابن الدغنة : فاردد علىّ جوارى !

أبو بكر : قد رددته عليك .

ابن الدغنة : يا معشر قريش ! إن ابن أبى قحافة قد ردّ علىّ جوارى
فشأنكم بصاحبكم !

(ينصرف ويترك أبا بكر بينهم)

قريش : (يحيطون بأبى بكر ويعلو لجاجهم) احبسوه ،
لا يهاجر ، خذوا راحلته !

أعـــرابى : (من بين القوم يحثو على رأس أبى بكر التراب) إليك

أبو بكر : (يلتفت فيجد بين القوم الوليد ابن المغيرة) ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه ؟!

الوليد : أنت فعلت ذلك بنفسك .

أبو بكر : (فى ضيق) أى رب ما أحلمك ! أى رب ما أحلمك! أى رب ما أحلمك !

المنظر الرابع والعشرون

« في الطائف — محمد في نفر من سادة
ثقيف وأشرافهم على مقربة من حائط
لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهما فيه
ينظران .... »

عتبة : (يهمس) ما جاء به إلى الطائف ؟

شيبة : ما أحسبه إلا جاء يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه .

عتبة : قريش ؟

شيبة : نعم ، ما كان أحد يمنعه وينصره على قريش إلا عمه

منه قريش من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة عمه وزوجه !

عتبة : وهل تحسب ثقيفاً ناصرة إياه ؟

شيبة : إن لم تنصره ثقيف فلا ناصر له .

عتبة : (يلتفت إلى ناحية القوم) انظر يا شيبة ! إنه جلس إلى أشراف ثقيف يدعوهم إلى ربه الذى يحدّث عنه . . . وما أرى فى وجوه القوم إلاّ استهزاء به وبما يقول .

شيبة : (ينظر) إسمع . هذا مسعود بن عمرو يدنو منه .

مسعود : (يدنو من محمد) إنى أمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

عتبة : (لشيبة همسا) أسمعت ؟

شيبة : (هامسا) سمعت .

عتبة : (همسا) أرى وجهه قد تغيّر .

شيبة : هذا أيضاً عبد ياليل بن عمرو يدنو منه .

عبد ياليل : (يدنو من محمد) أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟

عتبة : (هامسا) إنهم يغلظون له .

شيبة : صه . هذا حبيب بن عمرو يدنو منه كذلك ليقول له شيئاً .

حبيب : (لمحمد) والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أكلمك .

(محمد يقوم وقد يئس منهم)

عتبة : أنظر يا شيبة ، إنه قد قام .

شيبة : ما أراه إلا يائساً حزيناً .

عتبة : إنه يريد أن يقول لهم شيئاً ، اسمع .

محمد : (للقوم) إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى .

عتبة : (هامسا) ماذا يريد بهذا ؟

شيبة : لعله يكره أن يبلغ قومه عنه خذلان ثقيف له فيذئرهم ذلك عليه .

(صياح وأصوات)

عتبة : ما هذا الصياح ؟ (ينظر) أنظر ! هؤلاء ناس وعبيد يصيحون به .

شيبة : (ينظر) ما أحسب إلا أن القوم قد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به .

عتبة : أنظر . لقد اجتمع عليه الناس وهو لا يستطيع منهم فراراً .

شيبة : ما أرى إلا أنه سيلقى منهم أذى كثيراً .

عتبة : إنه مقبل علينا .

شيبة : إنهم يسدّون عليه السبيل .

(الصياح يقترب)

عتبة : لقد ألجأوه الى حائطنا .

شيبة : أجل ، ها هو ذا يسقط إعياء .

(محمد يعمد إلى ظل حبلة من عنب فيجلس
فيه وقد رجع عنه من كان يتبعه من
سفهاء ثقيف ....)

عتبة : أى هوان لقى هذا الرجل من أهل الطائف !

شيبة : أتحركت له رحمتك يا عتبة !

عتبة : (ينظر إليه) اسمع اصغ ! إنه يقول شيئاً .

محمد : (وقد اطمأن قليلا بعد ذهاب الناس عنه ...) اللهم إليك
أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم
الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟
إلى بعيد يتجهمنى أم الى عدوّ ملكته أمرى . إن لم يكن بك
علىّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ
بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر
الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك .

لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك .

عتبة : (همسا لأخيه شيبة) أسمعت ؟

شيبة : (مأخوذاً) نعم

عتبة : أيمكن أن يكون مثل ذلك الرجل كذاباً ؟

شيبة : ويحك يا عتبة .

عتبة : (ينادى غلامه همسا) يا عداس !

عداس : لبيك !

عتبة : خذ قطفاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

(عداس يسرع إلى ما أمر به)

شيبة : (ينظر الى وجه أخيه) ما حملك على هذا ؟

عتبة : (ينظر الى النبى) انظر يا شيبة ، إن عداساً قد أقبل بالطبق ووضعه بين يديه .

عداس : (لمحمد) كلْ !

محمد : (يضع يده فى الطبق) بسم الله . ! ثم يأكل !

عداس : (ينظر فى وجه محمد) والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلاد .

محمد : ومن أهل أى البلاد أنت ، وما دينك ؟

عداس: نصرانى . وأنا رجل من أهل نينوى .

محمد : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

عداس: (فى عجب) وما يدريك ما يونس بن متى ؟

محمد : ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى .

عداس: (يكب على محمد يقبل رأسه ويديه وقدميه) نبى ! نعم ، نبى

عتبة : (هامسا لشيبة) أرأيت ؟

شيبة : نعم .

عتبة : وما تقول فى هذا ؟

شيبة : أما غلامك فقد أفسده عليك .

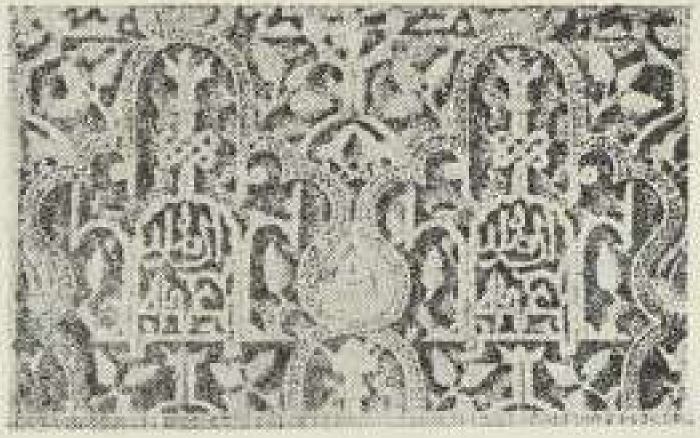
عداس: (يقبل عليهما) ؟

عتبة : ويلك ياعداس ، ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه.

عداس: يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى .

شيبة : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك . فإن دينك خير من دينه

عداس: إن مثله لا يمكن أن يحتمل ما لقى الا فى سبيل الحق ، ولا أن



المنظر الخامس والعشرون

« في الحبشة — بين يدي النجاشي .
النجاشي على عرشه بين بطارقته : »

البطارقة : لقد جاء من مكة رسولان .

النجاشي : أدخلوهما !

(يدخلون عبد الله بن أبي ربيعة
وعمرو بن العاص ....)

عبد الله : (همسا لعمرو) هل قدمت إلى كل بطريق منهم هديته ؟

عمرو : (همسا) نعم وسيعملون بما نريد .

البطارقة : أيها الملك ! لقد جاءك بهدايا كثيرة .

النجاشي . تقدما يا رسولا الخير !

عمرو : (يتقدم بين يدى النجاشي) أيها الملك ! إنا قد جئنا نسألك أمراً لقد أوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

عبدالله : (همسا لعمرو) أخوف ما أخاف أن يسمع النجاشي كلامهم فيفسد الأمر !

(عمرو يغمز بعينه للبطارقة)

البطارقة : صدقا أيها الملك ! قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

النجاشي : (غاضبا) لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما ، وهم قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى ، لن أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على

عليَّ بهـــم وعليَّ بأساقفتي !

(يسرع بعض أعوانه صادعين بأمره وتدخل الأساقفة ، ويدخل المهاجرون من أصحاب محمد يتقدمهم ابن مظعون وجعفر ابن أبي طالب و يتهامسون مضطربين إذ يرون رسولي مكة ، بينما ينشر الأساقفة مصاحفهم حول النجاشي . . .)

جعفر : (همسا لابن مظعون) لقد وشي بنا قومنا !

ابن مظعون : (همسا) نعم ، وشوا بنا للملك . وماتقول له الآن ؟

جعفـر : (همسا) نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هـــو كائن .

النجاشي : (يلتفت إلى المهاجرين) تقدموا يا أصحاب محمد !

المهاجرون : أيها الملك !

النجاشي : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى ديني ولا فى دين أحد من هذه الملل !

جعفر : (يتقدم بين يدى النجاشى) أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا من عبادة الله الى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك !

النجاشي : هل معك مما جاء به نبيكم عن الله من شيء ؟

جعفر : نعم .

النجاشي : إقرأه على !

جعفر : (يتلو) « واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً ، قال كذلك قال ربك هو علىَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضياً . فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً . فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد

صبياً ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ،
وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة
ما دمت حياً ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً .
والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ..»

النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة !

الأساقفة : والله إن هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه
كلمات سيدنا يسوع المسيح !

عبد الله : (همساً لعمرو) أسمعت ؟

النجاشى : (لعمرو وعبد الله) انطلقا ! فلا والله لا أسلمهم إليكما .

عمرو : (همسا لعبد الله) أأقول له عنهم الآن ما استأصل به خضراءهم ؟

عبد الله : لا تفعل ! إن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا .

عمرو : (همسا) والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد .

عبد الله : لا تفعل !

عمرو : (لا يصغى إلى رفيقه ويتقدم) أيها الملك ! إنهم يقولون
فى عيسى بن مريم قولا عظيماً .

(النجاشى يلتفت إلى أساقفته وعبادهم
همسا ، وكذلك بعض أصحاب محمد

ابن مظعون : (لجعفر همسا) ماذا نقول فى عيسى بن مريم إذا سُئلنا؟

جعفر : (همسا) والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً فى ذلك ما هو كائن .

النجاشى : (يلتفت إلى المهاجرين) يا أصحاب محمد ! ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟

جعفر : (يتقدم) نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

النجاشى : (يضرب بيده إلى الأرض فيأخذ منها عوداً) والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود !

(البطارقة يتناخرون)

النجاشى : (يلتفت إلى بطارقته) وإن نخرتم .. ! (لأصحاب محمد) والله اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى مَن سبكم غرم ! من سبكم غرم ! من سبكم غرم ! (يشير إلى رسولى قريش) ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها . فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين ثبت لى ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه .

(يخرج عمرو بن العاص وعبد الله
[illegible]

المنظر السادس والعشرون

• فى مكة — النبى فى داره وحيدا
مطرقا ومعه خولة بنت حكيم ... •

خولة : يا رسول الله كأنى أراك قد دخلك حزن لفقد خديجة !

محمد : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت!

خولة : أى رسول الله ، ألا تزوج ؟

محمد : (يرفع رأسه) من ؟

خولة : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً .

محمد : فمن البكر ؟

خولة : بنت أحب خلق الله إليك ، عائشة بنت أبى بكر .

محمد : ومن الثيب ؟

خولة : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك .

محمد : (يطرق لحظة متفكرا ثم يرفع رأسه) إذهبى فاذكريهما علىّ !

المنظر السابع والعشرون

«في طريق من طرق مكة ليلا ونعيم بن عبد الله وعمر بن الخطاب يتقابلان...»

نعيم : أين تريد يا عمر ؟

عمر : أريد جلسائي فلا أجدهم ولقد جئت إسحق الخمار لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها ، فلم أجده .

نعيم : لقد مضى عهد الخمر .

عمر : هذا كلام محمد ، وفعل محمد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وعاب دينها وسفه أحلامها وشتت مجالسها وضيع

نعيم : نعم كلامه ونعم فعله !

عمر : انك اتبعته !

نعيم : نعم .

عمر : (يلطمه) قبحك الله . والله لأقتلن محمداً بسيفي هذا

(يشير الى سيفه المتوشح به)

نعيم : (ويده على وجهه) والله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر. أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً . أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم !

عمر : أي أهل بيتي ؟

نعيم : أختك فاطمة وزوجها سعيد بن زيد ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه .

عمر : أهل بيتي ؟!

(يتركه ويجري الى بيت أخته)

المنظر الثامن والعشرون

« فى دار فاطمة أخت عمر بن الخطاب . فاطمة وزوجها سعيد ومعهما خباب وهو أحد المؤمنين يقرأ عليهما قرآنا من صحيفة .... »

خباب : (يتلو) طه ! ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى !

سعيد : (يلتفت إلى الباب) صه ياخباب ! هذا حس عمر !

خباب : (ينهض فى الحال مرتاعا) أخشى أن يكون قد سمع ما أقرأ.

(تأخذ منه الصحيفة فتجعلها تحت فخذها
ويسرع خباب الى المخدع فيغيب فيه)

عمـــر : (يدخل) ما هذه الهينمة التى سمعت ؟

سعيـــد : ما سمعت شيئاً.

عمـــر : بلى. لقد أخبرت أنك تابعت محمداً على دينه. أيها الخاسر!

(يبطش به)

فاطمـــة : (تقوم الى أخيها عمر لتمنع زوجها) كف عنه!

عمـــر : وأنت أيضاً.

(يضرب أخته فيشجها)

فاطمة وسعيد : (فى تحد وشجاعة) نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك!

عمـــر : (يرى الدم يسيل من رأس أخته فيرق قليلا) أسلمتما ؟!

فاطمـــة : (تتناول صحيفتها وتريد أن تمضى) نعم.

عمـــر : أكنتما تقرآن هذه الصحيفة ؟

فاطمـــة : نعم.

عمـــر : اعطينى أقرأ وأنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟

فاطمة : إنا نخشاك عليها .

عمـر : لا تخافى ، واللات والعزى لأردنها إليك إذا قرأتها .

فاطمة : إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر فاغتسل !

عمـر : أفعل .

(يذهب إلى بعض البيت ليغتسل)

سعيـد : (لفاطمة) إنك تطمعين فى إسلامه !

فاطمة : أرجو أن يهديه الله إليه .

خباب : (يخرج من باب المخدع ويهمس) ألا تتركانى أخرج إلى الطريق

فاطمة : صبراً حتى ننظر ما يكون من أمر عمر . فلو أخرجناك الآن لا نأمن أن يشعر بخروجك فيبطش بك .

سعيـد : (يرى عمر مقبلا) صه ! لقد عاد .

عمـر : (يعود) هات الصحيفة !

فاطمة : اتطهرت !

عمـر : نعم .

فاطمة : (تعطيه الصحيفة) خذ .

عمـر : (يقرأ) « . . . الله لا اله إلاّ هو له الأسماء الحسنى ، وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله أمكثوا إنى

آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى ، إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى ، إنى أنا الله لا اله إلاّ أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردَى .

(فاطمه تنظر إلى سعيد وينظر سعيد إليها
وقد رأيا من هيبة عمر ورقة صوته
ما استبشرا له . . . .)

عمر : (كالمخاطب لنفسه) ما أحسن هذا الكلام واكرمه !

خباب : (ينصت خلف باب المخدع ، فما أن يسمع عبارة عمر حتى يخرج صائحا) يا عمر ! والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب

عمر : (يفكر) ماذا تقول ؟

خباب : (مستحثا إياه) الصدق . الله ، الله يا عمر !

عمر : (يرفع رأسه) نعم ، دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم .

خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه .

(عمر يأخذ سيفه فيتوشحه ويمضى . . .)

المنظر التاسع والعشرون

* في بيت الصفا. — محمد بين أصحابه ، الباب يضرب عليهم *

أبو بكر : (في صوت خافت) من الذي يضرب علينا الباب ؟

حمزة : فليذهب أحدنا ينظر من خلل الباب !

(يذهب علي بن أبي طالب فينظر ثم يعود فزعا)

علي : (للنبي وهو فزع) يا رسول الله ! هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف

أبو بكر : (في خوف) اللهم اكفنا عمر إنه شديد البطش .

محمد : (يفكر) عمر ؟؟

حمزة : ائذن له يا رسول الله ! فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له . وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

محمد : أذنت .

(يذهب على وخلفه رجال من الأصحاب
يفتحون الباب لعمر ، فيدخل عمر ويقف
فى المكان دهشا واجما ينظر فى القوم)

محمـــد : (ينهض إليه حتى يلقاه فيأخذ بمجمع ردائه ثم يجبذه به
جبذة شديدة ....) ما جاء بك يا ابن الخطاب ! فوالله ما
أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة !

عمر : يا رسول الله ! جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء
من عند الله !

محمـــد : (يرسله مغتبطا) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

أبو بكر : (فى فرح) إن عمر قد أسلم ؟

الجميع : (يتهامسون فى فرح) قد أسلم عمر !

علـــى : (همسا لأصحاب النبى فى فرح) إن عمر قد أسلم ! ألا ترون
أنا قد عززنا فى أنفسنا الآن بإسلام عمر مع إسلام عمى
حمزة ؟ إنهما سيمنعان النبى وسننتصف بهما من عدونا .

محمـــد : (يمسح صدر عمر) الحمد لله ! قد هداك الله يا عمر . ادعو
الله لك بالثبات !

المنظر الثلاثون

« أمام دار أبي جهل — رجال من قريش بينهم عمر بن الخطاب . . . »

عمر : أى قريش أنقل للحديث ؟

قريش : (يشيرون إلى رجل مقبل عليهم) هذا المقبل علينا

عمر : (يلتفت) من ؟ جميل بن معمر ؟

قريش : نعم .

عمر : (لجميل) أقبل يا جميل ! أعلمت الخبر ؟

جميل : (فى اهتمام) أى خبر ؟

عمر : إنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد .

(جميل لا يراجعه وينطلق لا يلوى على شىء . . . .)

قريش : (صائحين مستنكرين) أسلمتَ يا عمر ؟!

عمر : أخبرونى أى أهل مكة أشد لمحمد عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ؟

(قريش ينظرون إليه فى عجب وغضب صامتين . . . . . .)

صبى : (من بين رجال قريش) هو أبو الحكم بن هشام .

عمر : (ينظر إلى القوم فى استخفاف ثم يتجه إلى دار أبى جهل) أليست هذه داره ؟

(قريش ينظرون إليه كاظمين ما بهم)

عمر : فلنضرب عليه بابه ! (يضرب علـــى باب أبى جهل) يا أبا الحكم إفتح !

أبو جهل : (يفتح الباب) مرحباً وأهلاً يابن أختى ! ما جاء بك ؟

عمر : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به .

أبو جهل : (يضرب الباب فى وجه عمر) قبّحك الله وقبّح ما جئت به !

(عمر ينصرف عن داره ضاحكا وإذا صوت جميل آت من جهة الكعبة . . . .)

جميل : (من بعيد) يا معشر قريش ! ألا أن عمر بن الخطاب قد صبأ .

عمر : (وقد أصغى إلى الصوت) كذب ولكنى قد أسلمت

قــريش : (نافدى الصبر يقومون إليه ثائرين صائحين . .)

قاتلوا هذا الخارج عن ديننا !

عمــر : (يستل سيفه) من يقربني منكم فهو هالك .

قــريش : قاتلوه ! قاتلوه !

(يهجمون عليه ويقاتلونه ويقاتلهم
حتى يعيى فيقعد . . . .)

عمــر : إفعلوا ما بدا بكم، أحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة

رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا .

العاص بن وائل: (يقبل ويمر بالرجال المجتمعين حول عمر) ماشأنكم

قــريش : صبأ عمر .

العاص : فه ! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟

قــريش : نريد أن نقتله . إنه يختال علينا بدين محمد .

العاص : أترون بني عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم

هكذا ؟! خلوا عن الرجل !؟ (يدنو من عمر)

قم معي يا عمر

(ينصرف العاص مع عمر وتبقى رجال قريش)

قــريش : (ينظرون الى رجل قادم عليهم) من هذا القادم ! !

رجل من قريش : هذا رجل غريب من أراش ، كان قدم مكة بإبل

له ابتاعها منه أبو الحكم ومطله بأثمانها .

الأراشى : (يقبل عليهم) يامعشر قريش! من رجل يؤديني على أبى الحكم بن هشام ؟ فإنى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حق !

رجل من قريش: (يلتفت ثم يهمس) صه . هذا محمد مقبل علينا .

رجل من قريش: (تلمع فى رأسه فكرة) أيها الأراشى ! أتريد رجلا يأخذ لك حقك ؟

الأراشى : نعم .

القرشى : (يشير إلى محمد) أترى ذلك الرجل المقبل علينا ؟ اذهب إليه فإنه يؤديك على أبى الحكم .

قريش : (تعجبهم الفكرة ويتضاحكون هازئين) نعم القول ! إذهب إليه !

الأراشى : (ينظر اليهم فى ريبة) أتهزءون بى ؟

قريش : (يتضاحكون) كلا . اذهب إليه . مامن رجل غير هذا الرجل يقضى حاجتك عند أبى الحكم ، فهو خير من يصغى إليه أبو الحكم !

رجل من قريش : (يخفى ضحكه) وهو أحب الناس إلى أبى الحكم . . !

وأكرم الناس على أبي الحكم!

الأراشي: (يتجه إلى محمد ويعترض سبيله) يا عبد الله ! إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه ، يأخذ لي حقي منه . فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله !

محمـــد: (يشير إلى دار أبي جهل) انطلق معي إليه . !

(يتبع الأراشي إلى الدار)

قريش : (يتهامسون هازئين) انظروا ماذا يصنع ؟

محمـــد: يضرب على أبي جهل بابه ! يا أبا الحكم !

أبو جهل: (من داخل البيت) من هذا ؟

محمـــد : محمد ، فاخرج إليّ !

أبو جهل: (يفتح ويخرج وقد امتقع لونه) أنت ! !

محمـــد : (يشير له الى الأراشي) أعط هذا الرجل حقه !

أبو جهل: (في رعدة) نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له

محمـــد : أسرع !

(يدخل أبو جهل داره ويخرج بماله

أبو جهل : (للأراشى) خذ مالك !

(ثم يدخل بيته سريعا)

محمـــد : (للأراشى) أهذا حقك ؟

الأراشى : (وهو يحصى المال) نعم :

محمـــد : إلحق بشأنك !

(ينصرف النبى)

الأراشى : (يقبل على مجلس قريش) جزاه الله خيراً ! فقـــد والله أخذ لى حقى .

(ينصرف مسروراً)

قريش : (لبعضهم بعضاً وقد وجموا مما رأوا) أرأيتم !

رجل من قريش : عجباً من العجب ! واللات ماهو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه ومامعه روحه !

أبو جهل : (يخرج فى حذر ويمر بهم) ماذا تقولون !

قريش : (لأبى جهل) ويلك مالك ! واللات مارأينا مثـــل ما صنعت قط

أبو جهل : ويحكم ! واللات ماهو إلا أن ضرب على بابى وسمعت

صوته فلئت منه رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، واللات لو أبيت لأكلني .

قريش : واللات ما كان معه فحل قط ! لقد شبه لك من الروع يا أبا الحكم !

المنظر الحادي والثلاثون

« عند العقبة فى موسم الحج »
محمد يلقى رهطا من العرب . . »

محمد : من أنتم !

القوم : نفر من الخزرج .

محمد : أمن موالى يهود ؟

القوم : نعم :

محمد : أفلا تجلسون أكلمكم ؟

القوم : بلى

(يجلسون إليه)

محمـــد : أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله

ولا يشركوا به شيئاً وأنزل علىّ الكتاب ، فهل تبايعونى على

أن لاتشركوا بالله شيئاً ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا

أولادكم ولاتأتوا ببهتان فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن

غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا كفارة له ، وإن

سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء

عذب وإن شاء غفر

(ينهض أحد القوم وهو أسعد بن زرارة)

أسعد : يا قوم، تعلموا والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه»

القوم : صدقت

أسعد : أيها النبى ! إنا نقبل منك ما عرضت علينا من هذا الدين .

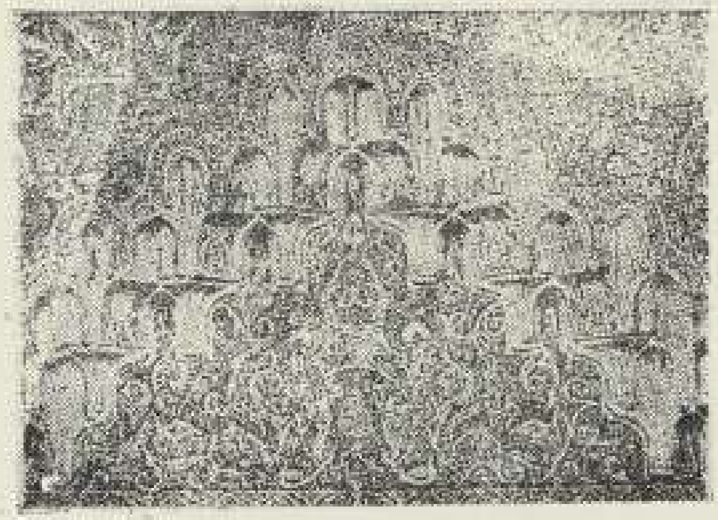
القوم : نعم ، نقبل منك ونصدقك .

محمد : الله أكبر !

أسعد : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم،

وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى

أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ،



المنظر الثاني والثلاثون

«دار الندوة التى تجتمع فيها قريش للمشاورة»
إبليس فى ثياب شيخ نجدى جليل يدخل الدار
وهى خالية فتلقاه حية تطير فى الحائط . . .»

الحيّة : (تصيح به) إبليس فى لبوس شيخ من نجد ؟ !

إبليس : لا تصيحى أيتها الضئيلة .

الحيّة : ماذا جئت تصنع فى دار الندوة ؟

إبليس : أريد محمداً .

الحيّة : تريد به الهلاك

إبليس : أريد لنفسى الحياة .

الحيّة : ماذا صنع بك ؟

إبليس : سيغير وجه الأرض

الحيّة : كيف؟

إبليس : نور يخرج من قلبه يضيء الأرض .

الحيّة : وما يضيرك هذا ؟

إبليس : يعمى بصرى هذا النور .

الحيّة : أطفئه من قلبه

إبليس : لاسلطان لى على مثل هذه القلوب

الحيّة : قلب لا ككل القلوب ، إنى لأذكر أمره . لقد أتاه الملكان
وهو صغير بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاه فشقا بطنه
واستخرجا قلبه فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه . . .

إبليس : العلقة السوداء؟

الحيّة : تلك رسولك فى كل قلب

إبليس : تبّا له ! تبّا له !

الحيـة : كما كنت أنا رسولك إلى أول قلب .

إبليس : حـــواء ؟

الحيـة : ذاك يوم ملعون إلى أبد الآبدين .

إبليس : أتندمين ؟

الحيـة : ماذا جنيتَ من كل هذا ؟

إبليس : قلت لك : تلك حياتى .

الحيـة : حياة ملعونة فى كل زمان .

إبليس : ويل للنفاق ! ويل للنفاق !

الحيـة : نفاقك ؟

إبليس : بل نفاق من يلعننا .

الحيـة : كنت أود أن تفتن غيرى .

إبليس : أود أن أفتن هذا الرجل .

الحيـة : إنك تقول أن لاسبيل لك عليه .

إبليس : تبـا لى !

الحيـة : إنه ليس كغيره من الناس .

إبليس : تبـا له !

الحيّة : لقد وزنه الملكان وهو صغير بعشرة من أمته فوزنهم ،
ثم وزناه بمائة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بألف من أمته
فوزنهم فقالا : والله لو وزناه بأمته كلها لوزنها

إبليس : صه . إنهم قادمون :

الحيّة : من هم ؟

إبليس : أدخلى جحرك . ولأتخذن لغة القوم

(الحية تختفي ويقف إبليس بباب الدار
ويدخل أشراف قريش . . . . . .)

أبو سفيان : (لإبليس) من الشيخ ؟

إبليس : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم
ليسمع ما تقولون عسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً .

أبو جهل : أجل فادخل .

(إبليس يدخل معهم ويجتمعون
فى دائرة . . . .)

أبو سفيان : (لأبى جهل) تكلم يا أبا الحكم .

أبو جهل : إن هــذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، ولقد
علمتم أن عمر بن الخطاب وهو أقوى قريش شكيمة قد

اتبعه كما أتبعه حمزة ، وإنه ليلقى الناس فى مواسم الحج يعرض عليهم دينه ويزين إليهم أن يتبعوه ، فإنا واللات ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا . فأجمعوا فيه رأياً .

أمية بن خلف : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير أو النابغة ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

إبليس : لا واللات ما هذا لكم برأى ، واللات لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

أبو سفيان : (يتفكر قليلا) نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فو اللات ما نبالى أين ذهب

ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه . أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت :

إبليس : لا واللات ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به . واللات لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأياً غير هذا

أبو جهل : (بعد تفكير) واللات إن لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .

أبو سفيان : وما هو يا أبا الحكم ؟

أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعاً فلم يقدر

بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

إبليس : (مبتهجا) القول ما قال الرجل . هـــذا الرأى الذى لا أرى غيره

(يتفرق القوم على ذلك
وهم يحمون له . . . . .)

المنظر الثالث والثلاثون

« عند العقبة ليلا — الخزرج مجتمعون خفية فى الشعب ، العباس بن عبد المطلب ومحمد يقبلان . . . . »

العباس : أو قد واعدوك يا ابن أخي ها هنا ؟

محمد : نعم

العباس : إني أحببت أن أحضر أمرك وأتوثق لك . فإن كانوا حقاً قادرين على أن يمنعوك ويقوموا معك ويخرجوا بك إلى بلادهم . فإنهم والله نعم الأنصار .

محمد : إنهم مجتمعون خفية فى الشعب .

العباس : (ينظر إلى القوم) هؤلاء ؟ ان عددهم والله لكثير !

محمـــد : (للقوم) السلام عليكم !

القـــوم : (ينهضون) وعلى النبى السلام ورحمة الله .

العباس : (يدنو منهم ويقوم فيهم) يامعشر الخزرج ! ان محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم . فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه . فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

الخزرج : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله . فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

محمـــد : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ؟

(أحد القوم وهو البراء بن معرور يأخذ

البــــراء : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر .

(ينهض رجل آخر من الخزرج
هو الهيثم بن التيهان . . . .)

الهيــــثم : يا رسول الله! ان بيننا وبين اليهود حبالا وانا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله . أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟!

محمــــد : (يبتسم) بل الدم الدم ، الهدم الهدم . أنا منكم وأنتم منى . أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم

(ينهض العباس بن عبادة)

ابن عبادة : (لقومه) يا معشر الخزرج ! هل تدرون عــــلام تبايعون هذا الرجل ؟

الخزرج : نعم

ابن عبادة : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم

الدنيا والآخرة، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما
دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه،
فهو والله خير الدنيا والآخرة.

الخزرج : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف (للنبي) فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا؟

محمد : الجنة

الخزرج : أبسط يدك!

محمد : (يبسط لهم يده)؟.

الخزرج : اللهم اشهد إنا بايعناك!

محمد : اخرجوا الىّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم.

الخزرج : (يخرجون اثنى عشر رجلا منهم) هؤلاء يا رسول الله!

محمد : (للنقباء) أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى المسلمين.

النقباء : نعم يا نبى الله.

(يرتفع فجأة صوت صارخ من رأس

الصوت : يا أهل الجباجب ! هل لكم في مذمم والصباء معه ، قد اجتمعوا على حربكم ! !

العباس : هذا الشيطان يصرخ من رأس العقبة !

(الجميع يتفقون ويصيحون . . . . . .)

محمد : نعم ! هذا ابن أريب استمع ، أى عدو الله ! أما والله لأفرغن لك !

الخزرج : نعوذ بالله منه !

محمد : (للقوم) ارفضوا إلى رحالكم .

ابن عبادة : والله الذى بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا

محمد : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

المنظر الرابع والثلاثون

« ليلة الهجرة . . . النبي في داره »

جبريل : (للنبي) لاتبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه

(يرتفع الوحى)

على بن أبي طالب : (يدخل هامسا) ألمح فى عتمة الليل رجالاً قد اجتمعوا على بابك ، ما أحسبهم إلاّ يرصدونك حتى تنام فيثبون عليك .

محمد : نم على فراشي وتسجَّ ببردى هذا الحضرمى الأخضر. فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم .

أبو جهل : (يهمس بين الرجال على باب النبى) أكره أن يفلت منا

الليلة كما أفلت منى يوم احتملت الحجر أريد فضخ رأسه

فى المسجد .

أميــــة : (هامسا) وكيف أفلت منك يومئذ !

أبو جهل : (هامسا) ما أدرى واللات . لقد أقبلت نحوه حتى إذا

دنوت منه رجعت مرعوباً وقد يبست يداى على حجرى

حتى قذفته من يدى ، فقد عرض لى دونه فحل من الإبل .

لا واللات ما رأيت مثل هامته ولاقصرته ولاأنيابه

لفحل قط ، فهم بى أن يأكلى

أميــــة : سحرك يا أبا الحكم .

أبو جهل : إن كان قد سحرنى يومئذ فما أحسبه يستطيع ذلك الليلة

معكم جميعاً .

أميــــة : أرى أنه قد نام .

أبو سفيان : (يتطلع الى مكان النبى) إنه نائم فى برده الأخضر الذى

ينــــام فيه .

أبو جهل : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك

العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها .

(محمد يخرج عليهم آخذاً حفنة من تراب فى يده ....)

محمد : (هامسا) نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم .

(ينثر التراب على رؤوسهم ويتلو:)

يس ، والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنّا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

(ينصرف النبى وهم كالنائمين لا يبصرون)

راع : (يمر بهم) يا معشر قريش !

قريش : (لا تراه) ؟

الراعي : (لقريش) ما تنتظرون هنا ؟ أيها الناس ؟ !

الجميـــع : (كأنما أفاقوا . يهمسون) محمداً .

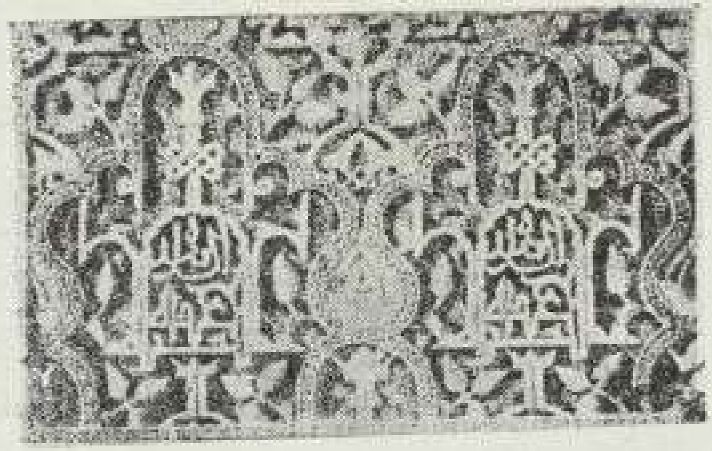
الراعي : قد والله خيبكم الله ، خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

الجميـــع : (يضع كل منهم يده على رأسه) حقاً هذا تراب ، ما هذا التراب ؟

(يطلعون الى فراش النبي وفيه علي
في برد رسول الله . . . .)

أبو جهل : (متطلعاً) واللات إن هذا لمحمد نائماً عليه برده .

الراعي : (كالمخاطب لنفسه) إن محمداً قد هاجر أيها الغافلون . . . !!



المنظر الخامس والثلاثون

« في غار ثور — محمد وأبو بكر
ومعهما عبد الله بن أريقط
يهديهما الطريق ...... »

ابن اريقط : (يلتفت ثم يهمس) لقد أدركنا !

أبو بكر : أترى أحداً مقبلاً ؟

ابن اريقط : (وهو ينظر الى بطن الصحراء) أرى فتيان قريش مقبلين من كل بطن رجل بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم

(محمد يطرق مفكراً صامتاً)

ابن اريقط : (فى همس) صه ! لقد دنوا منا !

(تعلو أصوات قريش)

قـــريش : (متصايحة) هذا غار ثور

بعض من قريش: (متصايحون) إنهما فى غار ثور .

بعض آخر : إلى باب الغار ! إلى باب الغار !

ابن أريقط : (همسا) هذا أحدهم عند الباب !

(محمد يرتعد قليلا وينظر فى صمت)

رجل من قريش: (يصيح) إن على الباب العنكبوت قبل ميلاد محمـــد !

(يذهب هذا الرجل من حيث أتى)

أبو بكر : (فى رجاء هامسا) لقد ذهب !

قـــريش : (تصيح) لا أثر لهما فى هـذه البطون . فلينظر أحـدنا فى الغار !

ابن أريقط : (همسا) وهذا واحد آخر منهم مقبلاً علينا ،

(أبو بكر يرتجف فى صمت)

محمـــد : لا تحزن ! إن الله معنا .

رجل قريش : (ينظر إلى فم الغار ثم يمضى) عجباً ! . حمامتان وحشيتان !

قريش : ما لك لم تنظر فى الغار ؟

الرجل : ليس فيه أحد .

قريش : كيف عرفت ؟

الرجل : (وهو عائد إليهم) رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد .

أبو بكر : (همساً فى رجاء) لقد درأ الله عنا .

ابن اريقط : (ينظر) إنهم ينصرفون .

أبو بكر : (فى فرح) لقد درأ الله عنا !

ابن أريقط : لقد ذهبوا وابتعدوا !

محمد : الحمد لله ! الله أكبر !

أبو بكر : (ينهض فيسوى بيده مكانا ينام فيه محمد ثم يبسط عليه فروة) نم يا رسول الله ، وأنا أنفض لك ما حولك !

محمد : (وهو يرقد متعباً فى المكان الذى هيأه أبو بكر) نعم .

ابن أريقط : (همساً لأبى بكر) هذا راع مقبلاً بغنمه على الغار .

أبو بكر : ما يريد ؟

ابن أريقط : إنه ليريد منه الذى أردنا ، فهو خير ملجأ له ولغنمه .

أبو بكر : (يخرج إلى فم الغار) لمن أنت يا غلام ؟

الراعى : لرجل من أهل المدينة .

أبو بكر : (يلتفت إلى غنمه) أفى غنمك لبن ؟

الراعى : نعم .

أبو بكر : أفتحلب لى ؟

الراعى : نعم .

(يأخذ الراعى شاة)

أبو بكر : أنفض الضرع من الشعر والتراب والقذى .

(الراعى يحلب فى قعب منه)

أبو بكر : (يتناول منه اللبن) هات !

(ثم يتجه إلى النبى بقعب اللبن)

ابن أريقط : (همساً لأبى بكر) هو نائم .

(يكره أبو بكر أن يوقظ النبى
فيقف باللبن حتى يستيقظ . .)

أبو بكر : (للنبى وقد فتح عينيه) يا رسول الله : إشرب !

محمد : (يشرب حتى يرتوى) ألم يأن للرحيل ؟

أبو بكر : (للدليل) يا ابن أريقط . ألم يأن للرحيل ؟

ابن أريقط : (ينظر إلى الفضاء) نعم . لقد زالت الشمس

أبو بكر : هيء الراحلتين !

(محمد ينهض وينهض معه أبو بكر
ويتهيآن للرحيل . . . . . .)

ابن أريقط : (يأتي بالراحلتين إلى فم الغار) اركبا !

أبو بكر : (للنبي مشيراً إلى أفضل الراحلتين) اركب فداك أبي وأمي !

محمد : إني لا أركب بعيراً ليس لي .

أبو بكر : هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي !

محمد : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟

أبو بكر : أربعمائة درهم .

محمد : قد أخذتها به .

أبو بكر : هي لك يا رسول الله .

(يركب محمد على راحلة ، ويركب أبو بكر على
الراحلة الأخرى ويردف خلفه ابن أريقط
وينطلقون . . . .)

المنظر السادس والثلاثون

« فى الطريق — على مقربة من خيمتى أم معبد — النبى وأبو بكر ودليلهما على راحلتيهم .... »

أبو بكر : (لابن أريقط) من يعدو فى أثرنا ؟

ابن اريقط : (يلتفت) هذا فارس فى سلاحه قد لحق بنا .

أبو بكر : (فى فرق) قد أتينا .

محمد : لا تحزن . إن الله معنا .

ابن اريقط : (يلتفت) لقد عثر به فرسه فسقط عنه .

الفارس : (يصيح خلفهم) أنا سراقة بن جعشم ! انظرونى أكلمكم ، فو الله لا أريبكم ويأتيكم منى شىء تكرهونه !

محمــــد : (لأبى بكر) قل له وما تبتغى منا ؟

أبو بكر : (صائحا لسراقه) ما تبتغى منا ؟

سراقـة : إنى قد علمت أنكما دعوتما علىّ فسقطت عن فرسى ، فادعوا لى فالله لكما أن أرد عنكما الطلب !

أبو بكر : (ينظر الى النبى فيراه يدعو له) إن رسول الله قد دعا لك .

سراقـة : لقد جعلت قريش فى محمد مائة ناقة لمن رده عليهم . وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة فخرجت فى أثركم كما ترون . ولكنى عرفت الآن أن محمداً قد منع منى وأنه ظاهر . وإنى لا أبتغى منه شيئاً . . . .

أبو بكر : ماذا ؟

سراقـة : يكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينه . حتى إذا أظهره الله وكانت لى حاجة . التمستها إليه فعرفنى .

محمــــد : (لأبى بكر) أكتب له يا أبا بكر .

أبو بكر : (يكتب لسراقة عهداً فى عظم ويلقيه اليه) خذ !

مراقـة : (يأخذه فيضعه فى كنانته ويرجع من حيث أتى) سأرجع،
لأرد عنكم من يلتمسكم .

(يذهب)

ابن أريقط : (يرى خيمتى أم معبد) هـذه أم معبـد بين خيمتيهـا ..
ألا نسألها طعاماً ؟

أبو بكر : (يلتفت الى النبى فيرى على وجهه الموافقة .) أصبت .

(ثم ينزلون عن راحلتيهم و يقبلون على
أم معبد ويقرؤها النبى السلام و يفعل
مثله من معه . . . .)

ابن أريقط : (يرى كلأ و عشبـا على مقربة من الخيمتين .) ها هنـا
رزق للدابتين .

أبو بكر : (لأم معبد) أما عندك تمر أو لحم نشترى ؟

أم معبـد : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القِرى .

محمـد : (ينظر إلى شاة فى كسر الخيمة) ما هذه الشاة يا أم معبد ؟

أم معبـد : هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم .

محمـد : هل بها من لبن ؟

أم معبـد : هى أجهد من ذلك .

محمـد : أتأذنين لى أن أحلبها ؟

أم معبد : نعم ، بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً .

محمــد : (يدعو الشاة ويمسح ضرعها) بسم الله ، اللهم بارك لها فى شاتها !

(تتفاج الشاة وتدر وتجتر)

أبو بكر : إناءك يا أم معبد ؟

محمــد : (يحلب الشاة ويتناول إناء من أم معبد فيملأه لبنا .) ؟

أم معبد : ما أعجب الذى أرى !

أبو بكر : لا تعجبى !

محمــد : (يسقى أم معبد) اشربى يا أم معبد !

أم معبد : (تشرب حتى تروى) جزيت خيراً !

محمــد : (يسقى أبا بكر) اشرب يا أبا بكر !

أبو بكر : وأنت يا رسول الله ؟

محمــد : ساقى القوم آخرهم !

(يشرب النبى آخر من شرب)

ابن أريقط : أما وقد روينا فلنرحل !

محمــد : نعم ، جزاك الله خيراً يا أم معبد !

(يرحلون بعد أن يودعوا أم معبد)

أم معبد : (تنظر إليهم صامتة فى عجب حتى يغيبوا عن بصرها).

على خبر طائر !

أبو معبد : (زوجها يأتى يسوق أعنزاً عجافا هزلى فيرى اللبن فى فى الأناء . .) عجباً ! من أين لكم هذا والشاة عازبة ، ولا حلوبة فى البيت ؟

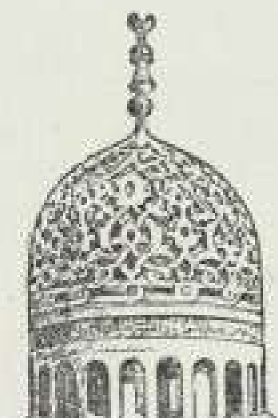
أم معبد : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك ، مامسح ضرع الشاة بيده حتى تفاجت ودرت واجترت ، وأتيت له بالإناء فحلب فيه ثجًا إلى أن غلبه الثمال ، فسقانى فشربت حتى رويت ، وسقى صاحبيه حتى رووا وشرب هو آخرهم .

أبو معبد : صفيه لى يا أم معبد !

أم معبد : هو رجل ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه ، حسن الخلق ، وسيم قسيم فى عينيه دعج ، وفى صوته صَحل ، ليس بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد ولا بالجعد القطط ولا السبط ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، وإذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ،

حلو المنطق فصل لا نَزْر ولا هَذْر ،غصن بين غصنين،
فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، وهما يحفان
به ، إذا قال استمعا لقوله ، وإن أمر تبادرا إلى أمره ،
محفود محشود لا عابس ولا مُفنِد !

أبو معبد : (يتفكر ثم يصيح) هذا والله صاحب قريش الذى
ذُكر لنا من أمره ما ذُكر . ولو كنتُ وافقتُه يا أم معبد
لالتمست أن أصحبه . . . (يفكر) ولأفعلن إن وجدت
إلى ذلك سبيلاً



الفصل الثانی

المنظر الأول

(فى يثرب — جمع من الأنصار
والمهاجرين ينتظرون على أبواب
المدينة فى حمارة القيظ . . . . .)

الأنصار : ألم يقدم بعد ؟

المهاجرون: نرجو أن يقدم اليوم

يهودى : (من بينهم) كل يوم تقولون هذا .

عبد الله : (من الأنصار) والله إنا لنخرج فى أول النهار من كل
يوم ، نتحين قدومه حتى تحرقنا الشمس فنرجع إلى
منازلنا وما قدم !

عبد الله : والله لا أجد بى صبراً . أريد أن أنظر إليه وأرى وجهه.

أبو أيوب : أنا أيضاً والله أبغى رؤية ذلك الذى ملأ قلوبنا بالهدى .

عتبان : (من الأنصار) صدقتما والله . لقد اتبعناه وأحببناه وما رأيناه !

اليهودى : أو سمعتم بمخرجه وحده ؟

سعد : (من المهاجرين) لقد سمعنا بمخرجه من مكة هو وأبو بكر.

سليط : (من المهاجرين ينهض) إن الشمس قد غلبتنا على الظلال ولم يبق ظل ، فلندخل بيوتنا فما أحسبه آتياً اليوم.

الجميع : (ينهضون) نعم ، فلندخل بيوتنا !

(ينصرفون الى بيوتهم ، ماعدا اليهودى
فانه يصعد الى أكمة لبعض شأنه ،
ولا يكادون يدخلون منازلهم حتى
تقبل الراحلتان وعليهما محمد وأبو بكر
وابن أريقط . . . .)

اليهودى : (يلتفت من أعلا الأكمة فيرى القادمين فيصرخ بأعلى صوته) يا بنى قيلة! هذا صاحبكم قد جاء!

المسلمون : (من كل بيت يصيحون) الله أكبر! الله أكبر!

(محمد ينزل عن راحلته ويجلس مع
أبي بكر في ظل نخلة . . . .)

الناس : (من نساء وصبيان وإماء يصيحون) جاء نبي الله ! جاء نبي الله!

(الحصين بن سلام وهو من يهود يقبل
مع عمته خالدة ليرى محمداً . . . .)

الحصين : (يصيح في حماسة) الله أكبر !

خالدة : خيبك الله ! والله لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدتَ !

الحصين : أى عمة ! هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به .

خالدة : يا ابن أخي ، أهو النبي الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

الحصين : نعم .

خالدة : (تلتفت إلى ناحية محمد) فذاك إذن .

الحصين : هلمى نراه !

خالدة : (ناظرة إلى محمد وأبي بكر) أيهما النبي . وأيهما أبو بكر؟

الحصين : (ناظراً إليهما) لقد زال الظل عن أحدهما ، فقام الآخر إليه يظله بردائه .

خالدة : (تشير إلى النبى) هو إذن هذا .

الحصين : (يطيل النظر إلى محمد) نعم . والله أرى وجهه ليس بوجه كذاب .

(المسلمون من أنصار ومهاجرين يقبلون على النبى من كل مكان يسلمون عليه)

الناس : يا رسول الله ! جئتنا بالهدى أهدنا إلى الله ؟

محمد : أيها الناس ! أفشوا السلام . وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام ، وصَلّوا والناس نيام . وادخلوا الجنة بسلام !

(ينهض الى راحلته ومعه أبو بكر)

المسلمون : إركب آمنا مطاعا !

(ثم يحيطون بالنبى وقد وضع النبى للناقة زمامها . . . . .)

الناس : (من نساء وصبيان وإماء يصيحون فرحين) نبى الله جاء ! نبى الله جاء !

بنو سالم : (يعترضون سبيل النبى) أقم عندنا يا رسول الله ! فى العدد والعدة والمنعة ! أنأخذ بخطام الناقة ؟

محمد : (وهو يشير إلى الدابة) خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة !

(يتركونها ، ويسير قليلا فيعترضه قوم آخرون من الأنصار .)

بنو الحارث : هلم يا نبي الله إلى القوة والمنعة والثروة ! (يمسكون بخطام الراحلة)

محمد : إنها مأمورة فخلوا سبيلها !

بنو عدى : (يعترضون الناقة كذلك) يا رسول الله ! هلم إلى العدد والعدّة والسلاح !

محمد : خلوا سبيلها فانها مأمورة !

(تسير الناقة حتى تقف على مربد فتبرك . . . .)

الناس : (فى همس) لقد بركت الناقة ! . .

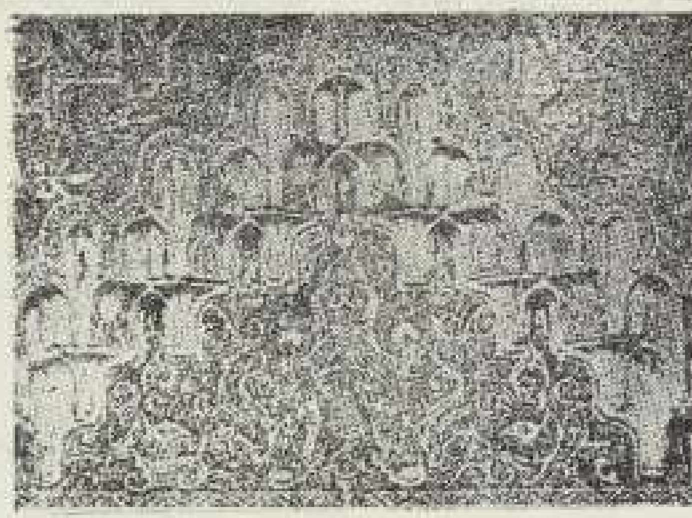
محمد : (يسأل من حوله) لمن المربد ؟

معاذ بن عفراء : (يتقدم) هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو .

محمد : (همسا) يا أبا بكر !

(ثم يلقى فى أذنه كلاما)

أبو بكر : (لمن حوله) سيبتاع النبىّ هذا المربد ويرضيهما منه . فهنا يبنى مسجد الله ومسكن رسوله !



المنظر الثاني

« تحت نخلة لأحد اليهود — سلمان الفارسي وعبد من العبيد يتحادثان »

العبد : (لسلمان) لقد قصصت عليك أمري فقص علي أمرك .

سلمان : (كالمخاطب لنفسه) والله إن أمري لعجب !

العبد : أين كنت قبل أن يبتاعك هذا اليهودي ؟

سلمان : كنت رجلا فارسياً من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها جي ، وكان أبي دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، ولم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية ،

واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لايتركها تخبو ساعة . وكان لأبى ضيعة عظيمة ، فأمرنى فيها يوماً ببعض مايريد ، فخرجت إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس ، لحبس أبى إياى ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم ، وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فسألتهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام . فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى . ثم رجعت إلى أبى وقد غربت الشمس فسألنى أين كنت . فأخبرته بما رأيت فقال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قلت كلا والله إنه لخير من ديننا ، فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته . فبعثت إلى النصارى فأخبرونى بقدوم ركب من تجار الشام ، فألقيت الحديد من رجلى وخرجت معهم حتى قدمت الشام ، فسألت من أفضل أهل هذا الدين علماً ، قالوا الأسقف فى الكنيسة ،

جئته فقلت له إنى قد رغبت فى هـــذا الدين ، فاحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك فأتعلم منك وأصلّى معك ، قال ادخل ، فدخلت معه ، وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، فأبغضته بغضاً شديداً ، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فأخبرتهم عما رأيته يصنع وأريتهم موضع كنزه فلما استخرجوه قالوا والله لاندفنه أبداً ، فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت أزهد منه فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب فى الصلاة ليلاً ولا نهاراً منه ، فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة فقلت له لقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فالى من توصى بى وبم تأمرنى ؟ قال يا بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثرما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل، دلنى عليه وأوصانى أن ألحق به . ثم مات وغيب فلحقت

بصاحب الموصل وأخبرته بما كان من أمرى فقال لى : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل ، ولم يلبث أن حضرته الوفاة فأوصانى أن ألحق برجل من أهل نصيبين. ففعلت . ثم حضر موت صاحب نصيبين أيضا . فأمرنى بالذهاب إلى رجل بعمورية من أرض الروم فلحقت بصاحب عمورية فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه واكتسبت عنده حتى كانت لى بقرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله فسألته إلى من توصى بى ، فقال يابنى والله ما أعلم اليوم أحداً على مثل ما كنا عليه ، ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخــل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البــلاد فافعل ، ثم مات وغيب فمكث بعمورية حتى مر بى نفر تجار فقلت لهم احملونى إلى أرض العرب واعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه ، قالوا نعم فأعطيتهم إياهـا وحملونى معهم حتى إذا بلغوا وادى

القرى ظلمونى فباعونى لرجل يهودى عبداً ،
فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد
الذى وصف لى صاحبى ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه
من المدينة ابن عمه وهو سيدى عازر هذا ، فابتاعنى
منه واحتملنى إلى هنا ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها
عرفتها بصفة صاحبى .

اليهودى عازر: (يقبل) ما بالكما قد تركتما العمل فى رأس العذق
وجلستما هذا المجلس ، أيها الخاسران ؟

سلمان : (ينهض فى الحال ويعتلى النخلة ويقوم العبد زميله إلى
نخلة أخرى)

عازر : (للعبد) ماذا كان يقصّ عليك هذا النصرانى ؟

العبد : (لا يجيب) ؟

عازر : إنى لم أبتعكما بالمال كى تجلسا وتتناجيا تحت النخيل .
والله إنى لأعرف لكما دواءً ناجعاً : الجوع .

اليهودى رافع : (يقبل صائحا) يا عازر !

عازر : مالك يا رافع ؟

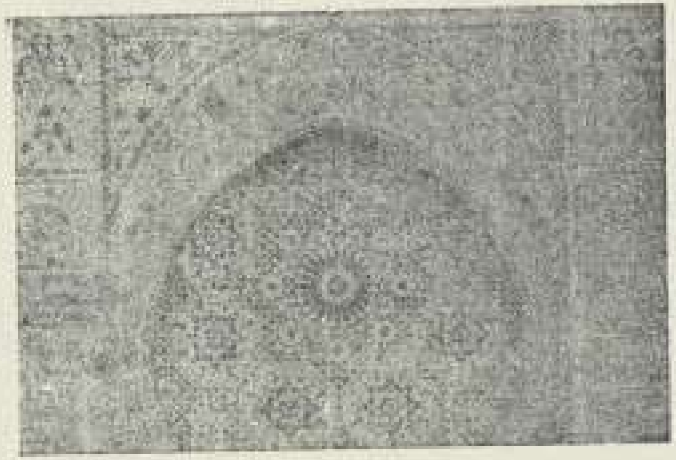
رافـــع : قاتل الله بنى قيلة . والله إنهم الآن لمجتمعون على رجل
قدم عليهم اليوم من مكة ، يزعمون أنه نبى !

سلمان : (وقد سمع ذلك من أعلا النخلة يرتعد وينزل عن
النخلة مقبلا على رافع) ماذا تقول ؟

عـــازر : (يلكم سلمان لكمة شديدة) مالك ولهـــذا ؟ أقبل
على عملك .

سلمان : لاشىء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال :

عـــازر : (فى عنف) إذهب إلى عملك !



المنظر الثالث

« في المسجد . محمد يخطب والناس يستمعون . . . . »

محمـــد : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له . ومن يُضل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له . . . أما بعد ، أيها الناس . فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسول فأبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك

قدمت لنفسك ، فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته .

الحصين بن سلام : (يزحف حتى يدنو من النبي ويهمس اليـه .) يا رسول الله ! إني كما تعلم يهودي وقد أسلمت . ولكن يهود قوم بهت . وإني أحب أن تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . .

(يبتعد عن النبي خفية كما دنا بدون أن يلحظه أحد . . . .)

محمـــد : يا معشر يهود ! أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟

اليهـــود : هو سيّدنا وابن سيّدنا وخيرنا وعالمنـا .

الحصين : (ينهض إليهم) يا معشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به محمد ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول

الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته .

اليهود : (فى عجب) أوقد أسلمت ؟

الحصين : نعم ، وإنى أشهد أنه رسول الله ، وأومن به وأصدّقه وأعرفه .

اليهود : (كلهم فى غضب) كذبت ! كذبت !

شمويل : ما هذا بالنبى الذى كنا نذكره وننتظر بعثه . وما جاءنا بشىء نعرفه .

أشيع : (صائحا فى قومه) إن الحصين قد أفسد علينا

فنحاص : (صائحا كذلك) إن الحصين لمن أشرارنا ، ولو كان من أخيارنا ما ترك دين آبائه وذهب إلى غيره .

الحصين : (للنبى) ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور !

فنحاص : (للحصين) إنما الكاذب الغادر الفاجر أنت . لقد اتبعت محمدا الذى يريدمنا أن نعبده كما تعبد النصارى عيسى بن مريم .

تريد منّا يا محمد وإليه تدعونا ؟

محمـــد : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى .

أبو بكر : ويحك يا فنحاص ! اتق الله ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله وقد جاءكم بالحق .

فنحـاص : أليس هو الذي يقول أن الله يجزى الحسنة عشر أمثالها !

أبو بكر : نعم .

فنحـاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرّع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وماهو عنّا بغنى ، أليس يأخذ منّا الحسنة بعشر أمثالها ؟ فهو ينهانا عن الربا ويعطيناه !

(أبو بكر فى غضب شديد يضرب وجه فنحاص)

فنحـاص : (يصيح) يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك !

محمـــد : (لأبى بكر) ما حملك على ما صنعت ؟

أبو بكر : يا رسول الله ! إن عدوّ الله قال قولاً عظيماً .

ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا

فإن ذلك من عزم الأمور .

أحد الأحبار : يا محمد! أرأيت قولك «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» .

إيانا تريد أم قومك ؟

محمد : كلا .

الحبر : إنك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان

كل شيء .

محمد : إنها في علم الله قليل .

الحبر : وما علم الله ؟

محمد : (يتلو) ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام

والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .

إن الله عزيز حكيم .

شمويل : ما مدة الدنيا ؟

أشبع : إنا نقول إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة .

الحبر : نعم يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول؟

عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الحبر : يا محمد ! تقول إن هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟

محمد : (يغضب حتى يتقع لونه . ثم يسمع صوت جبريل)

جبريل : (هامسا فى أذن محمد) خفض عليك يا محمد !

محمد : (يسكن غضبه ويصغى إلى جبريل ثم يتلو على الناس)

قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

شمويل : صف لنا يا محمد كيف خلقه . كيف ذراعه ، كيف عضده ؟

محمد : (ينتفض غضبا) ؟

جبريل : (همساً) خفض عليك يا محمد !

محمد : (يصغى إلى جبريل ويتلو) وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات

مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون .

أشيع : يا محمد ، ومن تؤمن به من الرسل ؟

محمد : نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

شمويل : أتؤمن بعيسى بن مريم ؟

أشيع : إنا لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به .

نصارى نجران : (ينهضون) وإنا والله لا نؤمن بموسى بن عمران ولا بمن آمن به

اليهود : (ينهضون) ما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده .

النصارى : (لليهود) كذبتم يا من أسلمتم عيسى للصلب ! ما أنزل الله التوراة ، إنما الإنجيل هو كتابه المنزل .

محمد : (يتلو متوجهاً إلى النصارى واليهود) قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . . .

النصـــارى : يا محمد ! إنا نتركك على دينك وأتركنا على ديننا .

(ينصرفون وينصرف اليهود كذلك)

سلمان الفارسي : (يدخل حاملا سلة كبيرة ويقف بين يدى النبى) إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندى للصدقة . فرأيتكم أحق به من غيركم .

(يخرج طعاما من السلة ويقربه إلى النبى)

محمـــــد : (لأصحابه) كلوا .

أبو بكر : (يلتفت حوله) أين عمر ؟

حمـــزة : عمر بن الخطاب ؟ إنه ذهب يشترى خشبتين للناقوس !

سلمـــان : (همسا لأبى بكر مشيراً إلى النبى) إنه لم يأكل .

أبو بكر : (لسلمان) إن رسول الله لا يأكل الصدقة .

سلمان : (لنفسه فرحاً) هذه واحدة ! (يخرج من السلة شيئاً آخر ويقدمه إلى النبي) إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها ..

محمد : (يتناول منها ويأكل) بسم الله !

(سلمان يكب على رسول الله يقبله ويبكي)

سلمان : (صائحاً) اللهم أحمدك ! اللهم أحمدك !

محمد : ما شأنك يا هذا ؟

سلمان : لقد وجدت النبي الذي أخبرت به

محمد : من أهل أي البلاد أنت ؟

سلمان : من فارس يا رسول الله وأدعى سلمان ، وقد خرجت من بلادي وكنت غلاماً حديثاً أبغي دين الحق حتى وجدتك آخر الأمر . ولكن الرق يشغلني عنك .

محمد . الرق !

سلمان : نعم .

محمد : كاتب يا سلمان !

سلمان : أكاتب صاحبي اليهودي على نخل أحييه له ؛ إذ

لا مالاً عندي أشتري به نفسي .

محمد : (لأصحابه) أعينوا أخاكم .

أبو بكر : (لسلمان) نعم ، نعينك بالنخل ، كل رجل مما عنده من ودية ، ونفقر لها الأرض لنغرس فيها . . .

محمد : إذهب يا سلمان ففقر لها ، فإذا فرغت فأتني ، أكن أنا أضعها بيدي .

(سلمان يقبل يدي النبي ويخرج ، يقدم عمر بن الخطاب . . . . . .)

أبو بكر : (لعمر) أجئت بخشبة الناقوس كي ندعوا إلى الصلاة ! .

عمر : كلا .

أبو بكر : لماذا ؟

عمر : (للنبي) يا رسول الله . لقد طاف بي هذه الليلة طائف يهتف « لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة » . . .

صوت بلال : (يؤذن خارج المسجد) الله أكبر ! الله أكبر !

عمر : (دهشاً) عجباً ! هذا بلال يؤذن ؟ !

محمد : (لعمر باسماً) قد سبقك بذلك الوحي !

عمر : والله ما كرهت شيئاً مثل أن نجعل بوقاً كبوق يهود

الذين يدعون به لصلاتهم ، ولا مثل الناقوس . . .

صوت بلال : (من الخارج يمضى فى أذانه) أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ! أشهد أن محمداً رسول الله . . . أشهد أن محمداً رسول الله ! حىّ على الصلاة ! حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ! الله أكبر الله أكبر ! لا إله إلا الله !

المنظر الرابع

« جمع من الناس عند مسكن
النبي — أحد الأنصار يدنو
من أحد المهاجرين . . . . . . »

الأنصارى : ما الخبر ؟

المهاجرى : رسول الله يتزوّج بعائشة .

الأنصارى : بنت أبى بكر ؟

المهاجرى : نعم . ولقد خطبها يوم كان بمكة

الأنصارى : على الخير والبركة !

المهاجرى : وعلى خير طائر .

الأنصارى : أهى بكر ؟

المهاجرى : نعم . هى بنت عشر سنين .

الأنصارى : لقد شاء الله أن يتزوّج رسوله خديجة وهى ثيب فى الأربعين ، وأن يتزوّج اليوم عائشة وهى بكر بنت عشر سنين !

المنظر الخامس

«نفر من المهاجرين بينهم عمر وأبو بكر
بجوار المسجد يتحدثون .....»

عمـــر : أما ترى هذا يا أبا بكر ؟

أبو بكر : نعم ، والله إني لأرى ما ترى . إن أهل المدينة ليحق
لهم أن يبرموا بنا .

عمـــر : أنا معشر المهاجرين قد لبثنا فيهم نيفاً وثمانية عشر شهراً ،
نأكل من أموالهم ...

أبو بكر : لقد تركنا أموالنا بمكة ، مع من تركنا من أهلنا .

عمـــر : وما عاقبة الأمر ؟ إني أخشى أن لا يصبر الأنصار على
هذه الحال أكثر مما صبروا ؟ ألا ترى لنا رأياً ؟

بلال : (يقبل سريعاً) أما سمعتم ؟

أبو بكر : ماذا !

بلال : أبو سفيان بن حرب مقبل من الشام فى عير عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم .

عمر : (وقد لمعت فى رأسه فكرة) وكم فيها من رجال ؟

بلال : ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون .

عمر : قد بدا لى رأى .

أبو بكر : قل . أسمع .

عمر : أرى أن نعرض لهذا المال . لقد أخرجتنا قريش من ديارنا وجرّدتنا من أهلنا ومالنا فإن نصب هذه العير فهى بعض حقنا ، ومال بمال .

أبو بكر : ألا نستأذن رسول الله ؟

عمر : بلى ، قم إلى رسول الله فكلمه .

(أبو بكر ينهض ويذهب من فوره)

بلال : عسى أن يأذن رسول الله !

عمر : إن شاء الله فإنه يأذن . إنّا معشر المهاجرين لا نرضى أن

يحتملنا الأنصار على كواهلهم أكثر مما احتملوا . فلقد
أدّوا لنا ما عليهم ، وآن لنا أن ننفق مما يعطينا الله .

بلال : رسول الله وأبو بكر قادمان !

(ينهض الجميع لاستقبال الرسول)

عمر : والله إني لأرى في وجه رسول الله أنه قد سبقنا إلى
هذا الرأى .

أبو بكر : يامعشر المسلمين !

محمد : (وقد اجتمع اليه المسلمون) هذه عير قريش فيها أموالكم ،
فاخرجوا إليها ، لعل الله أن يغنمكموها !

المنظر السادس

« في مكة — بجوار الكعبة : عاتكة
بنت عبد المطلب تحادث أخاها العباس
ابن عبد المطلب . . . . »

عاتكة : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة . فاكتم عني ما أحدثك به

العباس : وما رأيت ؟

عاتكة : رأيت راكبًا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : « ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم » فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما

... من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة .

العباس : والله إن هذه لرؤيا . وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ! -

عاتكة : لن أذكرها لأحد .

(تنصرف)

(يقبل الوليد بن عتبة)

الوليد : (للعباس) مالك يا أبا الفضل ؟

العباس : لاشيء . أردت أن أطوف بالكعبة !

الوليد : أرى في وجهك شيئاً لا عهد لي به .

العباس : أأقول لك وتكتم عني ؟

الوليد : نعم .

العباس : لقد رأت أختي عاتكة رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على القوم منها شر .

الوليد : وما رأت ؟

العباس : رأت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم ، فإذا الناس اجتمعت إليه فأخذ صخرة فأرسلها حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت إلا دخلته

الوليـد : إنها والله لرؤيا .

العبـاس : اكتمها ولا تذكرها لأحد

الوليـد : لن أذكرها لأحد

العبـاس : إني ذاهب أطوف .

(ينصرف)

(يقبل عتبة بن ربيعة)

عتبـة : (للوليد) ما تصنع هنا ؟

الوليـد : كان معي العباس .

عتبـة : وأين ذهب ؟

الوليد : ذهب يطوف ، وقد ألقى إليّ حديثاً عجباً ! أأقول لك وتكتم ؟

عتبـة : نعم .

الوليد . لقد رأت أخته عاتكة رؤيا . . .

عتبـة : ماذا رأت ؟

الوليد : (وهما منصرفان) رأت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح . . .

(يذهبان)

(يقبل أمية بن خلف وعقبة بن أبي

أمية : أما جاء خبر عن أبى سفيان ؟

عقبة : لقد خرج من الشام .

أمية : عائد إلى مكة ؟

عقبة : نعم

الحرث : وقد ربحت تجارتنا ربحاً عظيماً .

أمية : هل لك مال فيها يا ابن النضر ؟

الحرث : نعم ، وأنت ؟

أمية : وأنا

عقبة : ما أحسب أحداً من قريش إلاّ وله فيها نصيب .

أمية : (يلتفت إلى الجهة التى ذهب منها الوليد وعتبة) أبو الحكم مقبل .

عقبة : (يلتفت) ماله يضحك فى هذا النفر حوله !

أبو جهل : (يقبل فى رهط) أما سمعتم يا معشر قريش !

أمية : ماذا ؟

أبو جهل : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب !

أمية : (وكذلك الحرث وعقبة) لم نسمع .

أبو جهل : لقد رأت عاتكة فى نومها راكباً أقبل على بعير له حتى وقف

بالأبطح صارخاً « ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم » فإذا الناس تجتمع وإذا صخرة تهوى بأسفل الجبل فما بقى دار فى مكة إلا دخلتها منها فلقة .

أميه : من أخبرك بهذا ؟

أبو جهل: الناس كلها تتحدث به .

عقبة : هذا أخوها العباس خارجاً من الكعبة !

أميّة : (يصيح بالعباس) يا أبا الفضل !

(العباس يقبل عليهم)

أبو جهل: (للعباس متهكماً ساخراً) يا بنى عبد المطلب ! متى حدثت فيكم هذه النبية المرسلة !

العباس: (فى تجهم) وما ذاك ؟

أبو جهل: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة .

العباس: وما رأيت ؟

أبو جهل: يا بنى عبد المطلب ! أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم !

العباس: ماذا تعنى يا أبا الحكم ؟

لمصارعكم، فسنتربص بكم، فإن يك حقاً ماتقول فسيكون،
وإن لم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب
أهل بيت فى العرب!

العباس: إنى ما أحسبها قد رأت شيئاً: إنما هو قول يتقولون به عليها.

عقبة : (يلتفت) انظروا! بطن الوادى..

الجميع : (يلتفتون) ماذا؟

الحرث: هذا واللات رجل واقف على بعيره...

عقبة : وقد جدع بعيره، وهو يشق قميصه ويصرخ..

أبو جهل: هذا هو ضمضم الغفارى!

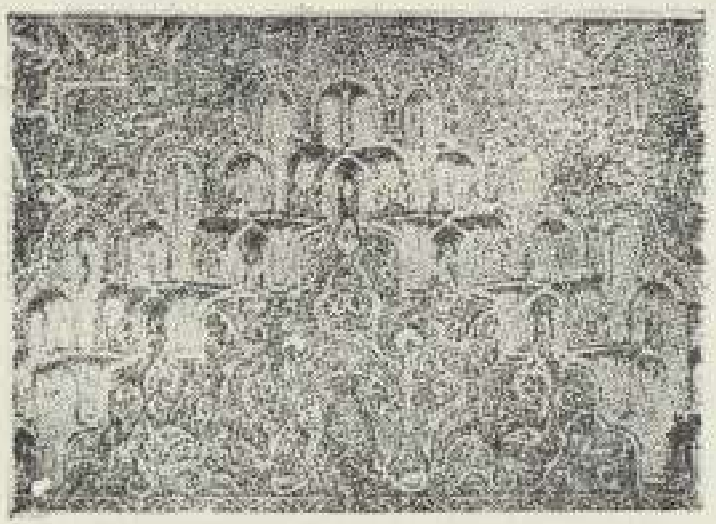
أمية : نعم: لعله آت من الشام! استمعوا له!..

ضمضم : (على بعيره يصرخ) يا معشر قريش! اللطيمة، اللطيمة!
أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا
أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث!

أمية : أموالنا..!

أبو جهل: محمـــد!

عقبة : واللات، إنها للحرب بيننا وبين هذا الرجل!



المنظر السابع

« فى وادى ذفران — محمد
فى رجاله . . . . »

أبو بكر : لقد جاء الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم

عمــــر : إنها والله للحرب بيننا وبين مكة .

محمــــد : أشيروا علىّ أيها الناس !

(المقداد بن عمرو ينهض من بين القوم)

المقـــداد : يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك ، والله

لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « إذهب أنت

وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون » ، ولكن إذهب

أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

(يجلس)

محمـــد : (وعينه إلى طائفة الأنصار) أشيروا عليّ أيها الناس؟

سعد بن معاذ : (ينهض من بين طائفـة الأنصار) والله لكأنك

تريدنا يا رسول الله ؟

محمـــد : أجـل

ســـعد : لقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به

هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على

السمع والطـاعة .

أبو بكر : تريدون بيعة العقبة ؟

ســـعد : أجـل

عمـــر : إن رســـول الله يتخوّف أن لاتكونوا معشر

الأنصار ترون عليـكم نصره إلاّ ممن دهمه بالمدينة

من عدوّه ، وأن ليس عليـكم أن يسير بكم من

بلادكم إلى عدو .

سعد : (يلتفت إلى محمد) والذى بعثك بالحق . لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنا لصبر فى الحرب . صدق فى اللقاء . لعلّ الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله !

محمد : (وقد سر مما سمع ونشطه ذلك) سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

(يقبل الزبير بن العوام ومعه شيخ)

أبو بكر : ممن الشيخ ؟

الزبير : هذا شيخ من العرب . اعترضته وجئت به علّه يخبرنا بخبر القوم ؟

عمر : (للشيخ) أيها الشيخ أخبرنا عن قريش وعن محمد وأصحابه . أما بلغك عنهم شىء ؟

الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى ممن أنتم ؟

محمد : إذا أخبرتنا أخبرناك .

الشيخ : أو ذاك بذاك ؟

محمد : نعم

الشيخ : إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان ، فان كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بوادى ذفران .

أبو بكر : وقريش ؟

الشيخ : وقريش ، بلغنى أنهم خرجوا يوم الجمعة لثمان وعشرين ليله خلت من شعبان ، فان كان الذى أخبرنى صدقنى ، فهم اليوم قادمون وراء هذا الكثيب . . .

الزبير : (وهو يذهب به) جزاك الله خيراً أيها الشيخ .

الشيخ : ممن أنتم ؟

محمد : نحن من ماء

(ثم تنحى ويصلى)

الشيخ : (وهو منصرف مع الزبير) من ماء ؟؟ أمن ماء العراق ؟ !

(يجذبه الزبير ويذهبان بعيداً)

عمر : أو لم يرجع علىّ بعد ؟

سعد : أين هو ؟

عمر : لقد بعثه رسول الله فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر .

سعد : (يلتفت) أليس هو القائم مع رجلين معه !!

عمر : (يلتفت) بلى .

(يقدم على وأصحابه ومعه غلامان)

سعد : (لعلىّ) ممن الغلامان ؟

على : سلوهما ! . . .

عمر : (للغلامين) ممن أنتما ؟

الغلامان : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء .

عمر : بل أنتما لأبى سفيان .

الغلامان : كلا .

سعد : إخبرانا أين ركبه وماله وتجارته ؟

الغلامان : نحن سقاة قريش .

سعد : إنكما تكذبان . أنتما لأبى سفيان .

(يضربهما هو والأنصار)

الغلامان : (والضرب ينهال عليهما) نحن لأبى سفيان . نحن لأبى سفيـــان .

(يتركونهما)

سعـــد : دعوهما ! لقد أقرا . . .

محمـد : (يختم صلاته وينهض إليهم) إذا صدقاكم ضربتموهما . وإذا كذبا كم تركتموهما ، صدقا والله ، إنهما لقريش . (للغلامين) أخبرانى عن قريش !

الغلامان : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى .

محمـد : كم القوم ؟

الغلامان : كثير . وقد خرجوا بالدفوف والقيان .

محمـد : ما عدتهم ؟

الغلامان : لا ندرى .

محمـد : كم ينحرون كل يوم ؟

الغلامان : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً

محمـد : (لأصحابه) القوم فيما بين التسعمائة والألف .

أبو بكر : نعم . كل مائة نفر يأكلون فى اليوم بعيراً .

محمـد : (للغلامين) من فيهم من أشراف قريش ؟

الغلامان : أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، والنضر بن الحرث ، وغيرهم . .

محمد : (لأصحابه) هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها !

عمر : (للغلامين) كم خيلهم ؟

الغلامان : مائة فرس !

سعد : (كالمخاطب لنفسه) ونحن ما لنا غير فرسين .

عمر : (للغلامين) وكم عيرهم ؟

الغلامان : عدد الرمل والحصى !

أبو لبابة : (كالمخاطب لنفسه) وكل ما لدينا سبعون بعيراً .

محمد : (يأمر بالسير) سيروا ، على بركة الله . . .

عمر : أرى يارسول الله أن يكون كل ثلاثة منا على بعير .

محمد : نعم .

عمر : (يصيح فى الناس) إلى العير ! كل ثلاثة على بعير !

(القوم يقومون إلى عيرهم)

أبو بكر : وأنت يا رسول الله ؟

محمد : (يلتفت إلى جواره فيرى علياً وأبا لبابة بينهما بعير) أنا

مع على وأبى لبابة . إركبا !

أبو لبابة : إركب أنت يا رسول الله !

علـــــى : إركب حتى نمشى عنك !

محمد : إركبا ! ما أنتما بأقوى على المشى منى ، وما أنا أغنى عن الأجر منكما . . .

عمر : (يصيح فى الناس) إلى بدر ! إلى بدر ! . .

محمد : (يرفع رأسه إلى السماء) اللهم إنهم حفاة فاحملهم ! اللهم إنهم عراة فاكسهم ! اللهم إنهم جياع فأشبعهم . !

المنظر الثامن

« ماء بدر — قلب ماء عديدة بالوادى.
بينهما قليب أمامه كثيب — أبو سفيان
ابن حرب يجول بالماء حذراً . . . . . »

أبو سفيان : (لأحد الرعاة) هل أحسست أحداً ؟

الراعى : ما رأيت أحداً أنكره . إلا أنى قد رأيت رجالاً ثلاثة قد أناخوا إلى هذا التل، ثم انطلقوا مع غلامين من سقاة الماء..

أبو سفيان : أرنى مناخهم ؟

الراعى : (يشير له إلى مكان بالوادى) هنا كان مناخ بعيرهم .

أبو سفيان : (ينحنى ويلتقط بعراً من أبعار الإبل ويفته بأصابعه فيجد.

فيه نوى ، . .) علائف يثرب !

الراعى : أرأيت فيها نوى نخيلها ؟

أبو سفيان : (كالمخاطب لنفسه) نعم ، هذه واللات عيون محمد !

(يرجع إلى عيره سريعاً ويرتحل من فوره مع أصحابه بعيداً عن الطريق المألوف)

الراعى : (لنفسه) ما هذا الرجل قد ضرب وجوه عيره عن الطريق وانطلق سريعاً ؟ !

(ينصرف)

(محمد وأصحابه يقومون)

محمد : هنا فانزلوا !

(الحباب بن المنذر يسرع إلى محمد)

الحباب : ننزل هذا المكان ؟

محمد : نعم .

الحباب : يا رسول الله ! أرأيت هذا المكان ، أمنزلاً أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

محمد : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .

الحباب : يا رسول الله . إن هذا ليس بمنزل ، فسر بالناس حتى

نأتى أدنى ماء من القوم فننزله . فانى عالم بها وبقلبها ، بها
قليب قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح ، فنغور ما سواه
من القلب ، ثم نبنى عليه حوضاً ، ثم نقاتل القوم فنشرب
ولا يشربون .

محمـــد : لقد أشرتَ بالرأى .

الحباب : (يسير بالقوم إلى القليب) هو هذا القليب هنا فلننزل ..

(محمد ينزل ، وينزل معه الناس)

عمـــر : (للحباب) خذ بعض القوم وابنوا الحوض ؟

(الحباب يسير ببعض الناس ليفعل
ما أشار به ....)

أبو بكر : (لعمر) ألا فلنجعل الرجال فى صفوف !

(سعد بن معاذ يدنو من محمد)

سعـد : يا نبى الله ! ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عندك
ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على
عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست
على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا بالمدينة .

محمـــد : جزاك الله خيراً يا سعد !

أبو بكر : (لسعد) انطلق مع بعض الرجال وابنوا العريش !

(محمد يسير بعض الناس ويبنون
عريشا من جريد ....)

محمـــد : استووا ، صفاً صفاً !

(يصفف رجاله)

أبو بكر : (للرجال) افعلوا كما أمركم رسول الله .

محمـــد : (فى يده عود يشير به لبعض الرجال كى يعدل الصف) أنت تقدّم !

أحد الرجال : أنا ؟

محمـــد : نعم ، (لرجل آخر) وأنت تأخر !

سواد بن غزية : (وهو مستنصل عن الصف) يا رسول الله !

محمـــد : (يطعن بالعود فى بطن سواد) استو يا سواد !

ســـواد : يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل .

محمـــد : استو !

ســـواد : اصبرنى يا رسول الله ، ومكنّى من نفسك لأقتص منك !

محمـــد : اصبر !

ســـواد : إن عليك قميصاً وليس علىّ قميص .

(محمد يرفع قميصه ، فيعتنقه سواد
ويقبل بطنه ....)

محمـــد : ما حملك على هذا يا سواد ؟

سواد : يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك !

محمد : (باسماً) جزاك الله خيراً يا سواد !

الحباب : (يقدم وقد بنى الحوض) لقد بنينا الحوض وقذفنا فيه الآنية ، فوالله ما يشرب منه رجل منهم إلا يقتل !

على : (يصيح انظروا إلى الكثيب ، لقد أتوا .

أبو بكر : (يلتفت) نعم هذا الكثيب إنهم يجيئون منه إلى الوادى !

محمد : (وجهه إلى السماء) اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ! اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداة !

(قريش تظهر على الكثيب وتصوب أنظارها فى الوادى ....)

أبو جهل : (يرى محمداً وجيشه) هذا محمد وأصحابه !

أمية بن خلف: (يلتفت إلى عمير بن وهب) يا عمير ! احزر لنا أصحاب محمد !

عمير : (يصوب فى الوادى) ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد؟

(يذهب فيضرب في الوادي)

عتبة بن ربيعة: أما سمعتم بما يقول جهيم بن عبد المطلب ؟

أمية : ماذا يقول ؟

عتبة : رؤيا قد رآها .

أبو جهل : رؤيا ؟ !

عتبة : (ينادي) يا جهيم ! أقبل وقصّ علينا رؤياك .

جهيم : (يقبل) إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثُم قال « قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأميّة بن خلف، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

أبو جهل : وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب ! !

جهيم : والله لقد ذكرت ما رأيت .

أبو جهل : ستعلم اليوم من المقتول . إن نحن التقينا .

عمير : ما وجدت شيئاً ، ولكني رأيت يا معشر قريش البلايا

تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم

ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترونهم خرساً

لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي . والله ما أرى أن يقتل

منهم رجل حتى يقتل منا رجل ، فإذا أصابوا منكم عددهم

فما خير العيش بعد ذلك ! فروا رأيكم .

شيبة : (يتقدم إليهم) لقد جاء نبأ من أبي سفيان أنه أحرز

عيره ونجا بها .

أمية : أو بعث أحداً !

شيبة : (يشير إلى فارس خلفه) نعم هذا هو رسوله .

الفارس : (يتقدم) لقد أرسلني إليكم أبو سفيان أقول لكم إنكم إنما

خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم ، فقد نجا

بها ، فارجعوا .

أبو جهل : نرجع !! واللات لا نرجع حتى نرد سود بدر فننحر الجزر ،

ونطعم الطعام ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع

بنا العرب ومسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها !

أميــة : واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال ، فامضوا ! .

عمــير : (يلتفت إلى جيش محمد) كيف نمضى ؟ إن محمداً وأصحابه قد جعلوا لأنفسهم حوضاً على هذا القليب يذودون عنه .
ولا ماء لدينا ، وقد غوروا ما سواه من القُلُب .

أبو جهل : فلنحمل عليه .

عمــير : واللات لو فعلنا لرمونا بالنبل .

(يخرج الأسود المخزومى)

المخزومى : (يصيح) أعاهد اللات لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه .

(يخرج صائحاً منطلقاً إلى القليب فيراه حمزة بن عبد المطلب فى صفوف النبى فيتبعه . . . .)

حمـزة : (صائحا) خذها يا عدو الله !

(ثم يضربه بسيفه ضربة تطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فيقع المخزومى على ظهره وتشخب رجله دما فيحبو إلى الحوض ويقتحمه فيتبعه حمزة ويضربه حتى يقتله فى الحوض . . . .)

عتبه : (يبرز ويصيح) إلى المبارزة ! إلى المبارزة !

(يخرج من صفوف النبى ثلاثة

الأنصار : (صائحين) إلى المبارزة !

عتبـة : (صائحا) من أنتم ؟

الأنصار : رهط من الأنصار .

قريش : (تصيح) ما لنا بكم من حاجة .

عتبـة : (ينادى) يا محمد ! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .

محمـــد : (على باب عريشه ينادى :) قم يا حمزة . قم يا علىّ ، قم يا عبيدة بن الحارث !

(ينهض الثلاثة ويتقدمون للمبارزة)

عتبـة : من أنتم ؟

حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله .

عتبـة : كفء كريم . وأنا أسد الحلفاء . من هذان معك ؟

حمزة : علىّ بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث .

عتبـة : كفئان كريمان . وهذان معى الوليد ابنى وشيبة أخى قم يا وليد اقم يا شيبة !

(يبارز على الوليد فيختلفان ضربتين ويقتله على ، ويبارز حمزة عتبة فيختلفان ضربتين ويقتله حمزة ، ثم يبارز عبيدة شيبة ، فيضرب شيبة رجل عبيدة وهو أسن أصحاب النبى بذباب السيف فيصيب عضلة ساقه فيقطعها ، فيكر حمزة وعلى على شيبة فيقتلانه ويحتملان صاحبهما

أبو جهل : (يصيح فى قومه) احملوا عليهم !

محمـــد : (لأصحابه) لا تحملوا حتى آمركم ! إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل !

(يدنو الفريقان أحدهما من الآخر وتقذف صفوف النبى بالنبل على قريش . . . . . .)

أبو بكر : (صائحا) أيها المسلمون ! اجعلو شعاركم « أحدٌ ، أحدٌ » ..

محمـــد : (يدخل العريش ويرفع رأسه إلى السماء فى قلق وفرق) يا حىّ يا قيوم ! يا حىّ يا قيوم ! يا حىّ يا قيوم !

أبو بكر : (يتبع محمداً) يا نبى الله ! بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

محمـــد : (ناظراً إلى السماء) اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد !

عمـــر : (يدنو من العريش شاهراً السيف ويخاطب سعد بن معاذ) قم يا سعد على باب العريش مع نفر من الأنصار ، تحرسون رسول الله بسيوفكم فإنى أخاف عليه كرة العدو !

أبو بكر : (لعمر فى إطراق وحزن) إن العدوّ كثير !

عمـــر : (فى كآبة) ثلاثة أمثالنا ويزيدون .

(ترتفع من صفوف النبي صيحة .

عمـــر : (يلتفت) من هذا !

أبو بكر : (يلتفت) هذا مولاك مهجع قد رُمى بسهم فقتل !

عمـــر : رحمة الله عليك يا مهجع !

(صيحة أخرى ترتفع)

أبو بكر : انظر ! هذا حارثة بن سراقة رُمى أيضاً وهو يشرب من الحوض ..

عمـــر : (ينظر) نعم لقد أصاب السهم نحره ..

أبو بكر : رحمتك اللهم ! رحمتك اللهم !

عمـــر : (فى قلق) أخشى أن تكون علينا الدائرة !

محمد : (يبتهل وقد تصبب عرقا) يا حىّ يا قيوم ! يا حى يا قيوم! يا حىّ يا .

(يجلس النبي وعليه خفقة)

عمر : (جزعا) يا رسول الله ! انظر ! .

أبو بكر : (همسا فى قلق) صه !

عمر : (فى صوت خافت) إن رسول الله قد خفق ...

أبو بكر : (فى إطراق) نعم

عمر : أخاف أن يدب الخور فى أصحابنا .

أبو بكر : (كالمخاطب لنفسه) اللهم عونك !

عمر : انظر ! أليس هذا ابن الحمام قد ترك القتال وانتحى ، وفى يده تمرات يأكلهن ؟!

أبو بكر : (ناظراً إلى السماء) اللهم عونك ! اللهم عونك !

محمد : (ينتبه ويصيح) يا أبا بكر ! يا أبا بكر !

أبو بكر : لبيك يا رسول الله !

محمد : أبشر يا أبا بكر ! أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذا بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع !

أبو بكر : (فى فرح) أجاءك الوحى فى هذه الخفقة يا رسول الله !

محمد : نعم .

أبو بكر : (لعمر)! أبشر ! أبشروا أيها المسلمون !

محمد : (يخرج للقوم صائحا) يا معشر المسلمين ،شدّوا !

المسلمون: (يحملون على العدو صائحين أحَدٌ ! أحَدٌ !

محمد : (صائحا) والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر . إلا أدخله الله الجنة !

ابن الحمام : (وفى يده التمرات يأكلهن) بخ . بخ ! أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء . . .

(يشير إلى الأعداء ، ثم يقذف التمرات من يده ويأخذ سيفه ويقاتل العدو . . . . . .)

محمــد : (يصيح فى أصحابه) شدّوا ! شدّوا !

المسلمون : (يقاتلون فى حماسه وهم يصيحون) أحد ! أحد !

محمــد : (يأخذ حفنة من الحصباء فيستقبل قريشا بها) شاهت الوجوه ! شاهت الوجوه ! . .

عمــر : (لمعوذ بن عفراء وعبد الرحمن بن عوف) يا ابن عفراء ! عليك بأبى جهل ، اجعله من شأنك ! وأنت يا ابن عوف ، عليك بأمية بن خلف !

محمــد : (لأصحابه) من لقى منكم العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرهاً .

أبو حذيفة بن عتبة : (لأحد الأنصار) العباس ؟ !

الأنصارى : نعم ، عم رسول الله .

أبو حذيفة : (صائحا) أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا

ونترك العباس ؟ والله لأن لقيته لألجمنه السيف !

محمد : (لعمر) أسمعت ؟

(عمر يتميز غيظاً)

محمد : (لعمر) يا أبا حفص ! أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف !؟

عمر : (غير متمالك) يا رسول الله ! دعني فلأ ضرب عنق أبي حذيفة بالسيف ، فو الله لقد نافق . . .

محمد : (يمسك بعمر) رفقاً به ! لقد رأى أباه عتبة يقتل أمام عينه اليوم !

أبو بكر : (لعمر) صدَق رسول الله يا عمر !

محمد : (يلتفت إلى المسلمين ويصيح) شدوا ! شدوا .

المسلمون : (في حماسة) أحَد ! أحد !

(يحمى وطيس القتال ويثخن المسلمون أعداءهم قتلا وأسراً وسلباً . ويستقبل عبد الله بن الزبير أدراع أحد القتلى ويأسر أمية بن خلف وابنه . . .)

عبد الله بن الزبير : (رافعا السيف) هذا أنت يا أمية بن خلف !

أمية بن خلف : (لعبد الله) يا عبد الإله لا تقتلني ! إن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة الألبان !

عبد الله : (يرى ابن أمية بجواره) وهذا ابنك ؟

أميــة : (فى تضرع) لا تقتله !

عبد الله : (يأخذ بيده وبيد ابنه) إتبعانى ولا تخشيا شيئاً !

أمية بن خلف : (ينظر إلى حمزة فى المسلمين يطيح رؤوس الأعداء)

يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟

عبــد الله : (ينظر) ذاك حمزة بن عبد المطلب !

أمية بن خلف : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

(بلال يرى أمية بن خلف مع عبد الله)

بــلال : (يصيح) رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا !

عبــد الله : (يشير إليه بالصمت) أى بلال ، أسيرى !

بــلال : (يصيح) لا نجوتُ إن نجا .

عبــد الله : (يحول بين بلال وبين أسيريه) أتسمع يا ابن السوداء ؟

بــلال : (يصيح) لا نجوت إن نجا ! (ثم يصرخ بأعلى صوته)

يا أنصار الله ! رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوت

إن نجا .

يأتى ابن عوف مع رهط من المسلمين
ويحيطون بالأسيرين ويضرب ابن عوف
بسيفه ابن أمية بن خلف فيقع . . .)

أمية بن خلف : (يصيح صيحة منكرة ولداه !

عبـد الله : (لأمية بن خلف) انج بنفسك ولا نجاء بك ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . (ثم يبحث عن أدراعه فيجدها قد ضاعت فى الموقعه) أدراعى ! أين ذهبت أدراعى ؟! .

ابن عوف : (يهبر أمية بسيفه حتى يفرغ منه كذلك) خذها ياعدوّ الله !

بـلال : (صائحاً فى فرح) الحمد لله ! مات عدو الله ! أحَد ، أحَد !

عبد الله : (لبلال) لك الله يابلال ! ذهبت أدراعى . وفجعتنى بأسيرى !

بـلال : (يصيح فى حماسة) أحَد ! . . أحَد ! . .

معـوذ : (باحثاً عن أبى جهل فى الصفوف) أين اللعين أبو جهل ؟

عبد الله : أبو جهل لا يُخلص إليه !

بـلال : (يصيح) هاهو ذا قد انفرد ، وشغل عنه القوم بأنفسهم !

معـوذ : (يصمد نحو أبى جهل ويضربه فيقع) خذها يا لعين !

أبو جهل : إلىَّ ياعكرمة !

(يسرع إليه ابنه عكرمة فيضرب معوذاً على عاتقه فيطرح يده فتتعلق بجلدة من جنبه فيتركها ويقاتل وهو يسحبها خلفه حتى تؤذيه

(يضع قدمه عليها ثم يمطى بهـا
عليها حتى يطرحهـا ويذهب إلى
أبي جهل وبه رمق ......)

معـــوذ : هل أخزاك الله ، يا عدو الله !

أبوجهل : (في حشرجة الموت) وبماذا أخزاني ؟ أعار على رجل
قتلتموه ! اخبرني لمن الدائرة اليوم ؟

معـــوذ : لله ولرسوله .

(أبو جهل يلفظ النفس الأخير فيحز
معوذ رأسه ....)

محمـــد : (عند عريشه ينظر إلى أصحابه وقد أسروا عدداً كبيراً
من قريش .) إن الغلبة للمسلمين !

ســعد : إنهم يأسرون ...

محمـــد : (في فرح) مرحى ! مرحى !

ســعد : والله إني ...

محمـــد : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم .

ســعد : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله
بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك
أحب إليّ من استبقاء الرجال .

محمـــد : انظر ! لقد فرّ المشركون !

معـــوذ : (يقدم حاملا رأس أبى جهل) يا رسول الله ! هذا عدوّ الله أبى جهل

محمـــد : (مهللا) الله أكبر ذو الملكوت والجبروت !

معـــوذ : نعم ، الله ذو الملكوت والجبروت ! . .

(ثم يلقى الرأس من يده)

محمـــد : (فى فرح) الله الذى لا إله غيره ! الله الذى لا إله غيره .

عمـــر : لقد تمّ النصر يا رسول الله !

معـــوذ : وفرّ من بقى من المشركين قافلين . . .

أبو بكر : (ناظراً إلى السماء) لربى الحمد ! لربى الحمد !

سعـــد : ألا نلقى بجثث القتلى من المشركين فى القليب يا رسول الله؟

محمـــد : نعم .

(يجمع سعد ورهط من المسلمين جثث قتلى المشركين ويلقون بها فى القليب . .)

سعـــد : (يقذف بالجثث) هذه جثة أمية بن خلف وقد انتفخ فى درعه فملأها ، وهذه فيما أرى جثة أبى جهل بلا رأس !

معـــوذ (يلقى إليه برأسه) تلك رأسه !

سعـــد : وهذه جثة عتبة . . .

(أبو حذيفة بن عتبة يقف ينظر
إلى جثة أبيه وهو كئيب قد تغير)

محمـــد : (يلحظ ذلك منه) يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟

أبو حذيفة : (يرفع رأسه) لا والله يا رسول الله . ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً . فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزنى ذلك

محمـــد : (فى تأثر) جزاك الله خيراً يا أبا حذيفة !

عمـــر : يا رسول الله . ألا نبعث أحداً إلى المدينة يبشر الناس بنصر الله !

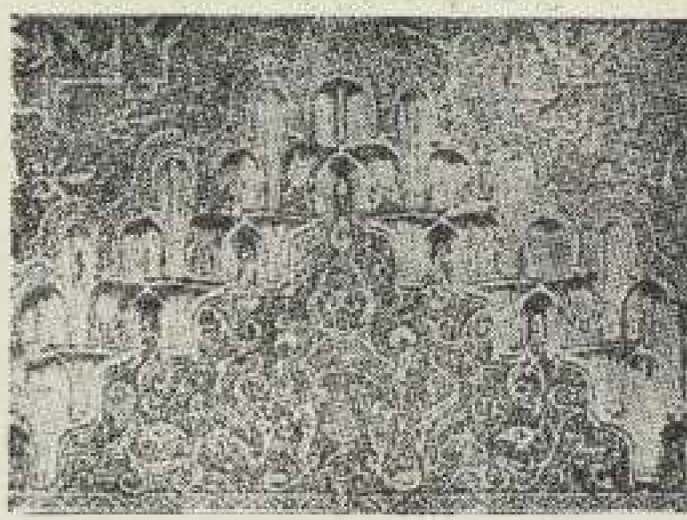
محمـــد : نعم .

أبو بكر : (لعمر) فليذهب زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة ، يخبرهم بسلامة رسول الله والمسلمين .

كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس . وأخرجتموني وآواني النـــاس ، وقاتلتموني ، ونصرني الناس هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقـــاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقـــاً .

سعـــد : (متعجباً) يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيفوا ؟

محمـــد : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . . .



المنظر التاسع

« محمد وعائشة في مسكنهما . . . :
ليلا . . . . »

عائشة : (باسمة) جئتُ لك بما تحب من الطيب

محمد : (باسما) أتدرين ما أطيب الطيب ؟

عائشة : ما هو ؟

محمد : أطيب الطيب المسك .

عائشة : أدرى ورب محمد انك تتطيّب بذكارة الطيب ، المسك

محمـــد : طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه .

عائشة : (باسمة) وطيب النساء؟

محمـــد : ما ظهر لونه وخفى ريحه .

عائشة : إنى أتطيب لك .

محمـــد : إنك امرأتى .

عائشة : نعم ورب محمد انى امرأة رسول الله .

محمـــد : أتعلمين يا عائشة ؟ أريتك فى المنام ثلاث ليال ، جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير يقول : هـذه امرأتك، فأكشف عنها ، فإذا هى أنت .

عائشة : ذلك وحى من عند الله ؟

محمـــد : أجل يا عائشة ، ذلك من عند الله !

عائشة : ألست خير النساء عندك !

محمـــد : وخديجة ؟ . . .

عائشة : ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها !! .

محمـــد : (يبدو الغضب فى وجهه) ؟

عائشة : أغضبت ؟

محمد : (ناهضا) والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ! . .

عائشة : (ناهضة صائحة في غضب وغيظ) لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ؟

(أبو بكر عند الباب)

أبو بكر : يا رسول الله ! أتأذن لي في الدخول ؟

محمد : نعم .

أبو بكر : (يلتفت إلى ابنته) لقد سمعتك تصيحين ؟

عائشه : (مطرقة لا تجيب) ؟

أبو بكر : (لعائشة) يا بنت أم رومان ، أترفعين صوتك على رسول الله !

(يتناولها أبوها . . .)

محمد : (يحول بينه وبينها) دعها يا أبا بكر !

أبو بكر : (متجهم الوجه) إني ذاهب يا رسول الله وأعود بعد قليل !

(يخرج)

(يبقى النبي وعائشه وحدهما ، مطرقين صامتين . . . . . .)

عائشة : (تبكى) ؟

محمد : (يلتفت إليها) مالك يا عائشة ؟

عائشة : ورب إبراهيم إنى . .

محمد : (يدنو منها ويرق لها) ألا ترين . قد حلت بين الرجل وبينك ؟

عائشة : وددت ورب إبراهيم أنى عندك خير مما أكون .

محمد : لا تغضبى !

عائشة : إنى لست غضبى .

محمد : إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت علىّ غضبى .

عائشة : ومن أين تعرف ذلك ؟

محمد : (باسما) إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين ورب محمد ! وإذا كنت على غضبى قلت ورب إبراهيم !

عائشة : (باسمة) أجل يا رسول الله ، والله ما أهجر إلاّ اسمك !

محمد : أين خادمتك بريرة تأتينى بشربة من ماء !

عائشة : (تنهض إلى الباب) ربما كانت تصلى !

محمد : لا أسمع لها هينمة !

عائشة : (تلقى نظرة خارج المكان وتصيح) يا رسول الله !

محمد : ما لك يا عائشة ؟

عائشة : إنها قد نعست وهى تصلى !

محمد : (يتوجه إلى مكان بريرة لينظر) حقاً !

عائشة : يا بريرة ! هذا رسول الله !

محمد : (لبريرة) إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه .

(يعود مع عائشة إلى مكانهما)

عائشة : (ضاحكة) صدقت والله يا رسول الله .

محمد : (لعائشة) ألا ترين أنى أضاحكك ؟

عائشة : (ضاحكة) نعم يا رسول الله .

(أبو بكر بالباب)

أبو بكر : أيُؤذن لى ؟

محمد : أدخل يا أبا بكر .

أبو بكر : (يدخل وينظر إليهما) أتضحكان ؟

محمد : نعم .

أبو بكر : (باسما) أشركانى فى سلمكما كما أشركتمانى فى حربكما !

المنظر العاشر

« في مكة — أمام بيت العباس بن عبد المطلب ، صفوان بن أمية جالس إلى عمير ، ومعهما رهط من قريش ، بينهم عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل.............. »

صفوان : (لقريش) لا تصدقوا الخبر !

قريش : كيف لا نصدق وكلما قدم أحد من بدر أخبرنا بمصابنا .

عمير : (همساً لصفوان) واللات لقد أبصرتهم يهبرون أباك وأخاك بأسيافهم هبراً ، كما أبصرت رأس أبي الحكم تحتز بسيف معوذ .

صفوان : (فى حزن) واللأت ، ما فى العيش بعدهم من خير .

عمـير : صدقت . أما واللأت ، لولا دين علىّ ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فان لى قبلهم علة ابنى أسير فى أيديهم .

صفوان : أحقاً تقول ؟

عمـير : نعم .

صفوان : (على عجل مغتنماً الفرصة) علىّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم .

عمـير : (يفكر قليلاً ثم بعزم) قد قبلت فاكتم عنى شأنى وشأنك .

صفوان : أفعل .

عمـير : (ينهض ويأمر غلاما له همسا) علىّ بسيفى ، وأريد أن يشحذ لى ويسمّ .

(ثم يختفى عمير بين الناس)

امرأة : (تقدم باكية) يا صفوان ! ما أغلى ما فدى به قرشى ؟

صفوان : أربعة آلاف درهم .

المرأة : [illegible]

صفوان : من ؟

المرأة : (وهى تنوح) ابنى أبو عزيز .

(يعلو نحيبها)

قريش : (يسكتونها) صه . إن النحيب على القتلى لم يحل بعد .

المرأة : (تتجلد فى الحال) إلى متى ؟

قريش : إن أبا سفيان قال لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، ولا نبعث فى أسرانا حتى نستأنس بهم ، لا يأرب علينا محمد وأصحابه فى الفداء .

المرأة : (تذهب) ما بقى عندى من صبر .

قريش : (تنظر إلى رجل قادم) هذا الحيسمان قادماً من بدر !

صفوان : عسى أن يجىء بالخبر اليقين .

قريش : (للحيسمان) ما وراءك ؟

الحيسمان : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والحكم بن هشام ، وأمية بن خلف . . .

صفوان : (همسا لبعض قريش الدانين منه وقد اختفى عن انظار الحيسمان) واللات أن يعقل هذا ، فاسألوه عنى !

بعض قريش : (يتقدمون إلى الحيسمان) وما فعل صفوان بن أميّة ؟

الحيسمان : (يشير إلى مكانه) ها هو ذاك جالساً فى الحجر ، وقد واللّات رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

أم الفضل : (زوجة العباس عم النبى همساً وهى تنظر إلى عبدها أبى رافع) لا فضّ فوه ، القادم بهذا الخبر ؟

أبو رافع : (همساً فى فرح لأم الفضل وهو ينحت اقداحا ..) لقد أيد الله رسوله ونصره نصراً مبيناً .

أم الفضل : (تنظر وتهمس) لقد أقبل أبو لهب يجر رجليه بشرّ .

أبو رافع : (ينظر إلى وجه أبى لهب ويهمس) إن الله قد كبته وأخزاه؟

أبو لهب : (يجلس على حجر قرب الباب صامتاً مطرقاً وخلفه أبو رافع وأم الفضل ينظران إليه فى تشفى) ما لكم ؟؟ لا تصدقوا ما جاء به أولئك النفر !

قريش : (تلتفت إلى ناحية) هذا أبو سفيان قد جاء .

أبو لهب : (ينهض ويصيح به) هلمّ إلى ، فعندك لعمرى الخبر .

أبو سفيان : (يجلس إليه والناس قيام عليهما) نعم .

أبو لهب : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟

أبو سفيان : واللاّت ما هو إلاّ أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم اللاّت مع ذلك ما لمت الناس، لقِينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض، واللاّت ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء.

أبو رافع : (لا يملك نفسه فينهض صائحاً) تلك والله الملائكة!

أبو لهب : (يلتفت خلفه فيرى أبا رافع فيضربه بيده على وجهه ضربة شديدة) خسئت يا أسود الوجه!

أبو رافع : إني والله ما أخسأ أبداً، إنما يخسأ المشركون!

أبو لهب : (يقوم إليه فيحتمله ويضرب به الأرض ويبرك عليه يضربه..) تبّاً لك من عبد خسيس. واللاّت لأضربنّ بك الأرض!

أم الفضل : (تأتي بعمود من عمد البيت فتضرب به أبا لهب ضربة تشج رأسه.) استضعفته أن غاب عنه سيّده!

أبو لهب : (يضع يده على رأسه) حسبك! حسبك!

(وبقوم هارا)

أم الفضل : قم ! اذهب عنا ، مولّياً ذليلاً !

قريش : (تجتمع حول أبى سفيان) يا أبا سفيان ! ألا تفتدى عمراً ابنك ؟

أبو سفيان : أيجتمع علىّ دمى ومالى ! قتلوا ابنى حنظلة وأفدى ابنى عمراً ؟ دعوه فى أيديهم ، يمسكوه فى أيديهم مابدا لهم.

صفوان : (يتقدم صائحاً فى الناس) أبشروا بوقعة تأتيكم فى أيام، تنسيكم وقعة بدر !

قريش : ماذا ؟

صفوان : لا أقول لكم الآن.

عكرمة : يامعشر قريش ! عندى لكم رأى.

قريش : قل يا عكرمـــة !

عكرمة : لقد ربحت تجارتنا وجاء بها أبو سفيان. وإن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المـال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منـا.

أبو سفيان : نعم الرأى !

قريش : نعم فلنخرج لحرب محمد بأموالنـا !

جبير : (ينادى عبداً له) يا وحشى !

وحشى : لبيك مولاى !

جبير : إنك تقذف برمحك قذف الحبشة قلما تخطىء به ، فاخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة فأنت عتيق .

وحشى : (فرحاً) أفعل

أبو سفيان : فلتخرج قريش بحدها وجدها وأحابيشها !

قريش : (تصيح) الثأر الثأر . . .

(يتفرقون)

أبو رافع : (لأم الفضل) ويحهم سيخرجون لحرب رسول الله .

أم الفضل : إذا جاء العباس فلتخبره ، علّه ينبىء رسول الله يخبرهم !

أبو رافع : نعم .

أم الفضل : (تنظر) من هذا القادم ؟

أبو رافع : هذا الأسود بن المطلب

أم الفضل : لقد أصيب له ثلاثة من ولده !

(تدخل دارها ويدخل خلفها ابو رافع)

الأسود : (وقد ذهب بصره يقوده غلام له) اسمع ! أليست هذه نائحة ؟

(يصغى إلى صوت امرأة قد ارتفع فى الفضاء . . . . . .)

الغـلام : (يصغى) نعم

الأسود : إذهب وانظر هل أحل النحيب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ، لعلّى أبكى على أبى حكيمة فإن جوفى قد احترق!

(الغلام يذهب سريعا)

هنـد : (بنت عتبة بن ربيعة، تقبل) ماذا تصنع هنا يا ابن المطلب؟

الأسود : من أنت ؟

هنـد : أنا هند بنت عتبة

الأسود : أما بكيت على أبيك ؟

هنـد : لم يحن الحين !

الغـلام : (يعود صائحا) كلا لم يحل النحيب .

الأسود : وما تلك النائحة ؟

الغـلام : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته .

الأسود : (يستند إلى ذراع غلامه و يمضيان فى إطراق . . . .)

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود

ولا تبكي على بدر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

(يذهب)

(هند تسير في طريقها فتقابل العبد
وحشياً يحمل رمحه . . . .)

وحشي : (وهو يهز الرمح) أيها الرمح ! رقبتي معلقة بسنك !

هند : (لوحشي) ويها أبا دسمة . اشف واشتف !

المنظر الحادى عشر

« فى المسجد بالمدينة — كعب بن الأشرف اليهودى فى نفر من القوم »

كعب بن الأشرف : أحقا تقولون ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء ؟

النـــاس : نعم .

كعب : هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها .

عمر ابن الخطاب : (يدخل) ماذا يقول هذا اليهودى ؟

كعب : أقتل حقاً أشراف قريش فى بدر ؟

عمـــر : إذهب إلى القليب تجد جيفهم !

النـاس : (ينهضون فى إجلال) رسول الله !

محمـــد : (يدخل من باب مسكنه اللافظ فى المسجد ، وقد رأى اليهودى كعب بن الأشراف .) يا معشر يهود ! احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، واسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم .

كعب : يا محمد ! إنك ترى انا قومك ؟ لا يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس !

عمـــر : (يدفعه ويخرجه من المسجد) إخسأ واغرب يا عدوّ الله!

(صمت . . .)

ابن اسحق : (من بين الناس المحيطين بمحمد) يا رسول الله ! أمن استشهد يوم بدر يدخل الجنة ؟

محمـــد : نعم .

ضرار : من يدخلها من أمتك يا رسول الله ؟

محمـــد : يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتى على صورة القمر ليلة البدر .

عكاشة : يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم

محمـــد : (يرفع عينيه إلى السماء) اللهم اجعله منهم !

(يقوم رجل من الأنصار مسرعا إلى محمد)

الأنصارى : يا رسول الله ! أدع الله أن يجعلنى منهم .

محمـــد : سبقك بها عكاشة ، وبردت الدعوة .

عمـــر : (يلتفت إلى باب المسجد) من الذى أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ؟

ابن إسحق : (يتجه إلى الباب ثم يعود إلى عمر مسرعاً هامساً) هو عمير بن وهب .

عمـــر : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر .

ابن إسحق : نعم ، وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر .

عمـــر : (يدنو من محمد الجالس فى وسط المسجد) يا نبىّ الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً سيفه .

محمـــد : أدخله علىّ !

عمـر : (وهو ذاهب إلى الباب يلتفت إلى نفر من الأنصار .)

اجلسوا عند رسول الله واحذروا عليه من هذا الخبيث

فانه غير مأمون :

(يخرج ويعود فى الحال مع عمير وقد
أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها . .)

محمد : أرسله يا عمر !

عمر : (يترك عميراً) ؟

محمد : أدن يا عمير !

عمير : (يدنو) أنعموا صباحاً .

عمر : (همسا له) تلك تحية أهل الجاهلية يا عدو الله !

محمد : (لعمير) قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ،

بالسلام تحية أهل الجنة .

عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد !

محمد : ما جاء بك يا عمير ؟

عمير : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم . فأحسنوا فيه .

محمد : وما بال السيف فى عنقك ؟

عمير : قبحها الله من سيوف ; وهل أغنت عنا شيئاً ؟ !

محمد : أصدقنى ما الذى جئت له ؟

عمير : ما جئت إلا لذلك .

محمد : (ينظر إليه ملياً) بلى ، قعدت أنت وصفوان ابن أمية فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : « لولا دين علىّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً » ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك فى أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

عمير : (فى عجب ودهش) هذا والله أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان. فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله !

محمد : نعم .

عمير : أشهد أنك رسول الله !

محمد : الله أكبر !

عمير : قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى .

محمد : الله أكبر !

عمير : الحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق .

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله!

محمد : (لأصحابه) فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرؤوه القرآن، وأطلقوا له أسيره.

(يذهب بعمير أحد الأنصار)

عمير : (قبل أن يذهب) يا رسول الله! إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله. وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام، لعل الله يهديهم، وإلاَّ آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم.

محمد : افعل!

أبو بكر : (يدخل ومعه كتاب) يا رسول الله! هذا كتاب من العباس بن عبد المطلب:

محمد : إقرأ.

أبو بكر : (يقرأ الكتاب) «لقد خرجت قريش لحربكم، تطلب بثأر بدر، وجهزوا بربح تجارتهم جيشاً إليكم...»

عمر : أين الرسول الذى جاء بهذا الكتاب؟

أبو بكر : (يشير إلى رجل بالباب) هاهو ذاك:

عمـــر : (للرجل) أخرجت قريش ؟

الرجل : نعم . وإنهم قد دخلوا إبلهم وخيلهم فى الزرع الذى بالعُريض ، حتى تركوه ليس به خضراء .

محمـــد : (يرفع رأسه) قد رأيت والله تلك الليلة كأن بقرا لى تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة .

أبو بكر : خير إن شاء الله .

عبد الله ابن أبىّ : وما تأويل ذلك يا رسول الله !

محمـــد : أما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يُقتل ، وأما الدرع الحصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا ، أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

عبد الله بن أبى : هذا والله هو الرأى .

(يقوم بعض فتيان من الأنصار)

الشبـــاب : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أ

ابن أبي : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا بشرّ محبس ، وإن دخلوا ، قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا .

محمد : (للناس) امكثوا في المدينة ، واجعلوا النساء والذرارى في الآطام !

الشباب : اخرج بنا يا رسول الله ! لقد كنا والله نخرج إلى عدوّنا ، أما وقد أعزنا الله بالإسلام وفينا نبي مرسل أيدخل الوهن قلوبنا والخوف نفوسنا ؟

ابن أبي : هؤلاء والله فتيان أحداث ممن لم يشهدوا بدراً ، لا يرون إلا أن يصنعوا ما صنع الآخرون !

الشباب : نعم ، إن الله الذى نصر رسوله يوم بدر لقادر على نصره اليوم . اخرج بنا يا رسول الله كما خرجت بأصحاب بدر . اخرج بنا إلى عدوّنا !

محمـــد : (ينهض) تهيأوا للخروج إلى عدوكم !

(ثم يدخل بيته من أحد أبواب
المسجد ويشير إلى أبي بكر وعمر
فيتبعانه ....)

الشبـاب : (في فرح) الله أكبر ؟ الله أكبر !

ابن أبي : عصاني وأطاع الولدان .

(ينصرف مغضبا)

سعد بن معاذ : (للشباب) استكرهتم رسول الله على الخروج .
والأمر ينزل عليه من السماء !

أسيد بن حضير : (للشباب) ردوا الأمر إليه !

الشباب : (في تفكر وندم) أجل، والله لقد استكرهنا رسول
الله، ولم يكن لنا ذلك !

سعـد : (ينظر حوله) أين أبو بكر وعمر ؟

أسيـد : (يدنو من باب النبي وينظر) إنهما مع رسول الله
وقد عمّماه وألبساه !

سعـد : يا أسيد ! صفّ الناس له ينتظرون خروجه .

أسيـد : (يصيح) أيها الناس ، اصطفوا !

(يخرج محمد وقد لبس لأمته وأظهر
الدرع واعتم وتقلد السيف وألقى الترس
فى ظهره وخلفه أبو بكر وعمر . . .)

سعد : (للنبى) يارسول الله ! ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك!

الشباب : استكرهناك يانبيّ الله ولم يكن ذلك لنا، فان شئت فاقعد !

محمد : (يفكر قليلا ثم يعزم) ما ينبغى لنبى إذا لبس لأْمته أن يضعها
حتى يقاتل . . . . فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه ، وامضوا
على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم !

المنظر الثاني عشر

« محمد في جيشه ، أمام حائط لمربع
ابن قيظي .... »

محمد : مَن رجل يخرج بنا على القوم من كثب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟

أبو حثمة : (يتقدم) أنا يارسول الله .

عمر : كيف ؟

أبو حثمة : ننفذ من أرض مربع بن قيظي هذه ؟ .

مربع : (يسمع حسهم وهو رجل ضرير فيخرج ويصيح بهم) من القوم ؟

أبو حثمة : صه ! هذا رسول الله وصحبه يريدون أن ينفذوا ..

مربع : (صائحاً) إن كنت رسول الله ، فإنى لا أحلّ لك أن تدخل حائطى

محمد : من هذا الرجل ؟

أبو حثمة : هو يارسول الله رجل منافق ضرير البصر .

(مربع يأخذ حفنة من تراب فى يده)

عمر : ماتصنع أيها الرجل بهذه الحفنة من التراب فى يدك ؟

مربع : والله لو انى أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك .

(يبتدره القوم ليقتلوه)

أبو حثمة : قبحت ياعدوّ الله !

(يرفع سيفه عليه)

محمد : لاتقتلوه ! فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصر .

(يسير محمد ويتبعه الناس)

ابن أبى : (فى صحب له يهمس . .) ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا ، أيها الناس فلنرجع !

(ينصرف ويتبعه قومه)

أحد الأنصار : يا قوم أذكركم الله ، أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوّهم .

ابن أبى : لقد أطاع من لا رأى له وعصانى . فلنرجع ؟ . .

(ينصرفون)

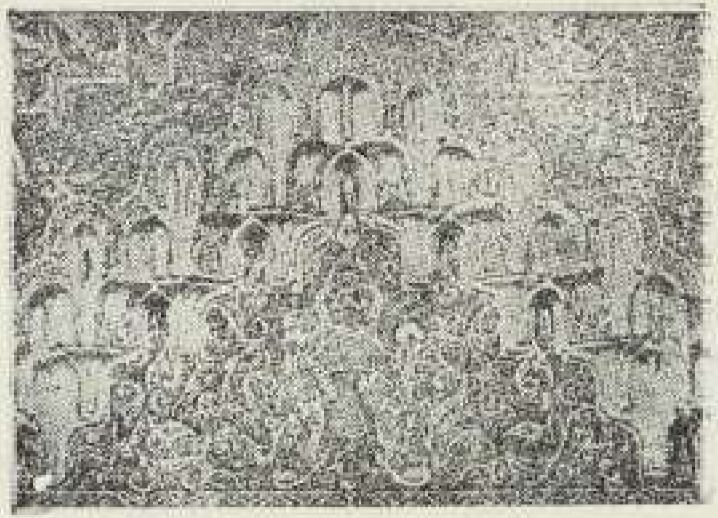
الأنصارى : أبعدكم الله ، أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه !

أسيد : (يلتفت ويصيح) عجباً ! ما بال بعض القوم ينصرفون ؟

الأنصارى : هذا ابن أُبَىّ وقومه قد انخزلوا عنّا .

أسيد : إنهم ثلث الناس ! لقد انخزل عنّا اللعين بثلث الناس !

الأنصارى : نعم ، وما بقينا إلا فى سبعمائة رجل وفرسين !



المنظر الثالث عشر

« عند جبل أحد — محمد وجيشه
يتهيأون للقتال — وقد جعلوا أحد
خلف ظهورهم .... »

محمد : (يمر فى صفوف الرماة وهم خمسون رجلا) قوموا على مصافكم هذه، انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فان رأيتمونا قدغنمنا فلا تَشرَكونا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم .

أبو خثمة : (يقدم) لقد رأيت المشركين يا رسول الله ، وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس ، وقد جعلوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي جهل ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وهم مائة رام .

محمد : ومن يحمل لواءهم ؟

أبو خثمة : طلحة بن عبد الدار .

محمد : أين مصعب بن عمير ؟

مصعب : (يتقدم) هأنذا .

محمد : (يدفع إليه اللواء) خذ اللواء .

مصعب : وما شعارنا يا رسول الله ؟

محمد : يا منصور ، أمِتْ . أمت !

مصعب : اللهم يا منصور ، انصر رسولك وأمت أعداءه وأعداءك !

محمد : (يلتفت إلى كتيبة خشناء) من هؤلاء ؟

عمر : هم حلفاء ابن أبيّ من يهود ، وعددهم ستمائة رجل

محمد : أو قد أسلموا ؟

عمر : لا يا رسول الله .

محمد : قولوا لهم فليرجعوا ، فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين !

عمر : (يأمر الكتيبة) إذهبوا لا حاجة لنا بكم !

(تنصرف)

محمد : (يرفع سيفه) من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

المسلمون : سيف رسول الله ؟ !

محمد : نعم .

أحد الأنصار : (يقوم إليه) أنا يا رسول الله .

محمد : (يمسكه عنه) كلا .

أحد المهاجرين : (يقوم إليه) أنا . . .

محمد : (يمسكه عنه) كلا .

عمر : (لأبي بكر همسا) هذا أبو دجانة الشجاع يقوم إليه !

أبو دجانة : (صائحا) نعم أنا أقوم إليه . ما حقه يا رسول الله ؟

محمد : أن تضرب به في العدو حتى ينحني .

أبو دجانة : أنا آخذه يا رسول الله بحقه .

محمد : (يعطيه إياه) خذ !

أبو دجانة : (...)

أنا الذى عاهدنى خليلى　　　ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكبول　　　أضرب بسيف الله والرسول

(ثم يخرج عصابة حمراء يعصب بها رأسه ويتبختر بين الصفوف .)

الأنصار : لقد أخرج أبو دجانة عصابة الموت !

عمــر : (لأبى بكر) أرأيت ؟ انه إذا عصب رأسه بهذه العصابة الحمراء علم الناس أنه سيقاتل !

أبو بكر : (فى إعجاب) انظر يارسول الله كيف يختال أبو دجانة ويتبختر !

محمــد : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن .

أبو حثمة : (يصيح) لقد دنا العدوّ !

عمــر : (ينظر) نعم ، وإنى لأرى صنمهم هُبَل على جمل بين صفوفهم ، جاءوا به ولا ريب يتيامنون به . قاتلهم الله أجمعــين !

(يدنو جيش قريش ، ويصيح أبو سفيان بأصحاب اللواء فى جيشه)

أبو سفيان : يا بنى عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت

زالوا فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه .

طلحة : نحن نسلم إليك لواءنا ؟؟! ستعلم إذا التقينا كيف نصنع !

أبو عامر : ألكم فى رجل يشطر جيش محمد شطرين ؟ أنا فان أهلى من الأوس فى صف محمد ، ما إن يسمعوا ندائى حتى يستجيبوا لى وينحازوا معنا عليه .

أبو سفيان : هلم فاصنع !

أبو عامر : (يصيح فى جيش محمد) يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر .

المسلمون : (من أهله وقومه) لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق !

أبو سفيان : (ساخراً) أسمعت ؟!

أبو عامر : لقد أصاب قومى بعدى شر !

(ثم يقاتل المسلمين . . . ، ويبدأ الحرب بين الطرفين — أبو سعد بن أبي طلحة يتقدم صف المشركين . . . .)

أبو سعد : (صائحا) من يبارز ؟

على : (يبرز إليه) أنا

(يختلفان ضربتين ويقتله على . . . .)

حمزة : (يصيح) يا منصور أمت أمت !

(ثم يهجم على طلحة حامل لواء قريش
فيضربه على يده اليمنى فيتناول طلحة
اللواء باليسرى فيقطعها حمزة بسيفه فيضم
طلحة اللواء بذراعيه إلى صدره فيعاجله
حمزة بضربة تقتله . . . .)

محمـــد : (يصيح) الله أكبر ! الله أكبر !

(أم عامر ومعها سقاء فيه ماء تمشي بين
صفوف المسلمين . . . .)

أم عامر : اشربوا معشر الأنصار والمهاجرين، نصركم الله النصر المبين

أبو سفيان : (يصيح) يا للعزى ! يا لهبل !

هنـــد : (فى نسوة بين صفوف قريش) ويهاً بنى عبد الدار ! ويها
حماة الأدبار ! ضرباً بكل بتار !

محمـــد : (يصيح فى المسلمين) شدّوا ، شدّوا !

أبو دجانة : (صائحا)

أنا الذى عاهدنى خليلى . . . .
. . . . أضرب بسيف الله والرسول !!

عمـــر : مرحى ! مرحى ! إن المشركين قد انكشفوا منهزمين . . .

هنـــد : (مع النسوة يصحن فى صفوف العدو)

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعانق   أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق !

المسلمون : (صائحين) يا منصور ! أمت ! أمت !

أبو دجانة : (يصيح) أنا الذى عاهدنى خليلى . . .

(يرفع سيفه على هند)

هنـــد : (تولول) ويلاه !

أبو دجانة : (يتركها) أهى امرأة ؟ اذهبى قبحك الله !

الزبير : (خلفه) أقتلها !

أبو دجانة : إنى أكرم سيف رسول الله أن أضرب به امرأة !

عمـــر : (يصيح للرماة) أجلوهم بالنبل أيها الرماة !

(عاصم بن أبى الأقلح من جيش المسلمين
يرمى بسهمه مشركا هو مسافع بن طلحة)

عاصم : خذها وأنا ابن أبى الأقلح !

(يقع مسافع)

المسلمون : يا منصور أمت ، أمت !

أبو بكر : (صائحا) اتبعوهم !

أم مسافع : (تحمل ابنها فى حجرها والمسلمون يطاردون عدوهم)

يا بنى من أصابك ؟

مسافع : (وهو يموت) سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول :
خذها وأنا ابن أبي الأقلح

(يموت)

أم مسافع : واللات إن تمكنت من رأسه لأشربن فيه الخمر !

(تترك جثة ابنها وتجرى وقد طاردها
المسلمون فمن طاردوا . . . .)

الزبير : (لأحد الأنصار) أنظر ! والله إنى لأرى هنـــدا؟
وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل
ولا كثير !

الأنصارى : هلم نسلب العدو فهزيمته لا شك فيها !

(يعكف المسلمون على السلب وينشغلون به)

الرماة : أنظروا ! النساء يشتددن على الجبل قد بدت أسوقهن
وخلاخلهن ، رافعات ثيابهن !

(يلحظ أميرهم عبد الله بن جبير
تهامس الرماة . . . .)

عبد الله : (صائحاً بهم) لا تبرحوا !

الرماة : (صائحين) الغنيمة !

أحد الرماة : (يترك مكانه فى حماسة) نعم الغنيمة ! أى قوم ، الغنيمة !
قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟

عبدالله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ؟

الرماة : لم يرد رسول الله هذا . قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا ؟

عبدالله : لا أجاوز أمر رسول الله .

أحد الرماة : انطلقوا ! نتبع العسكر وننتهب معهم !

(ينطلق الرماة خلف العسكر يسلبون)

(ويثبت ابن جبير في نفر يسير . . .)

هند : (تقابل العبد وحشياً في طريقها) ويها أبا دسمة ! اشف واشتف !

وحشى : أين حمزة؟

هند : تراه في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هذاً ، مايقوم له شيء .

(يتركها ويذهب وهو يهز حربته في يده)

عمر : (في دهش وخوف) الجبل خال ! أين ذهب الرماة ؟!

خالد بن الوليد : (يصيح) لقد خلوا الجبل ! فلنكر بالخيل على من

(يحمل على ابن جبير ورجاله من المسلمين فيقتلونهم ، وتجمع قريش فى أمل . .)

أبو سفيان : (صائحاً) يا معشر قريش ! احملوا ! احملوا !

قريش : (متصايحه) ياللعزّى ! ياهُبَل !

(يتزلون بالمسلمين قتلا ذ بحا ، وقد تفككت صفوف المسلمين . . . . .)

محمـــد : (فى نفر قليل من أصحابه) اثبتوا ! اثبتوا !

(يرمى عن قوسه حتى تصير شظايا ثم يرمى بالحجر . . . .)

مصعب : (يصيح للفارين أمام العدو) يا أصحاب النبى ! ارجعوا واثبتوا !

محمـــد : (يصيح) لكم النصر ما صبرتم !

مصعب : (فى حزن وهو يقاتل دون النبى) تفرق شملنا ، وانتقضت صفوفنا ، واستدارت الرحى !

سعد بن أبى وقاص : (وهو يرمى بالنبل دون النبى) لقد اقترب منا العدو يا رسول الله . وما بقينا حولك سوى عشرة وقد نفدت السهام ، وأخشى عليك . . .

محمـــد : (يناوله سهما وجده بقربه) إرم فداك أبى وأمى !

محمـــد : إرم به .

أم عمارة : (تقبل بسقائها) رسول الله وحده مع نفر قليل ، والعدوّ داني ! أعطوني سيفاً أذب عن رسول الله !

(تلقي بسقائها وتتناول سيف أحد القتلى وتقاتل به دون النبي .....)

أبو دجانه : (يقبل وسيفه في يده يقطر دماً والجراح في جسمه) لقد ولّى الناس عنك يا رسول الله ، وأخشى أن يخلص إليك العدوّ ! هذا نبله يصل إليك ! دعني أترس دونك بنفسي !

(ينحني على النبي فيقع في ظهره النبل .)

محمـــد : إن النبل يقع في ظهرك

أبو دجانة : لا بأس .

(يكثر النبل في ظهر أبي دجانة حتى يموت ويقبل من صفوف قريش رجل هو ابن قمئة ويهجم رافعاً سيفه ....)

ابن قمئة : دلوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا !

أم عمارة : (تعترضه) مكانك يا عدوّ الله !

ابن قمئة : (يضربها بسيفه على عاتقها فتقع) غني أيتها الخاسرة !

مصعب : (يعترضه) دونك . .

ابن قمئة : (يضرب مصعبا بسيفه فيرديه) خذ ! .

(ثم يذهب إلى جهة النبى)

حمزة : (يقبل ويمر بأم عمارة وهى طريحة تعانى من جرحها)
من أصابك بهذا ؟

أم عمارة : ابن قمئة ، أقمأه الله !

حمزة : أين هو ؟

أم عمارة : (تلمح الغلام وحشيا خلف حمزة رافعاً الرمح فتصرخ)
انتبه إلى من خلفك ؟

(يستتر وحشى منه بحجر)

حمزة : (يلتفت) من ؟

(يتقدم إليه أحد المشركين وهو سباع بن عبد العزى . . . .)

أم عمارة : (تصيح) حذار ! ذاك سباع ابن ختّانة مكة !

حمزة : (يستقبله بالسيف) هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور !

(يضربه ضربة تصيب رأسه)

وحشى : (يخرج من مخبئه ويهز رمحه ثم يدفعه على حمزة) خذها
وأنا أبو دسمة !

(يقع الرمح فى ثنة حمزة ويخرج من بين رجليه . . . .)

حمزة : (فى صيحة ألم) آه أصبتنى يا أسود الوجه !

(يذهب وهو يتوه نحو وحشى فيطلب ويقع . . . .)

أم عمارة : (صارخة) ويلاه ! وقع أسد الله ! وقع أسد الله !

وحشى : (يترك رمحه فى حمزه حتى يموت فيأتيه وينزعه منه) الآن قد أعتقت !

(يذهب لا يلو على شيء . . .)

ابن قميئة : (يجرى نحو قريش يصيح) يامعشر قريش ! يامعشر قريش !

صوت : (يعلوا من الناس) أيها الناس ! إن محمداً قد قُتل !

المسلمون : (فى دهش وذهول) قُتل رسول الله !

أبو بكر : (فى ذهول بين بعض المهاجرين والأنصار) قُتل . . !!

عمر بن الخطاب : (فى دهش وذهول) قُتل . . . !

(يلقون بأيديهم يأساً . . . ويمر بهم أنس بن مالك وفى يده السيف والدماء تتساقط منه والعرق يتصبب من وجهه . . . . .)

أنس : ما يجلسكم ؟

المسلمـــــون : النبى قد مات !

أنس : مات ؟! فماذا تصنعون بالحياة بعد ؟ انهضو فموتوا

(يتركهم ويستقبل العدو ويقاتل حتى يسقط ، ويمر كعب بن مالك فيعثر على محمد واقفاً فى حفرة ووجهه مخضب بالدماء . . . .

كعـــب : (يصيح فرحاً) رسول ! عرفت عينيك الشريفتين تزهران من تحت المغفر !

محمـــد : (فى همس) اسكت

كعب : (ينتصب واقفاً فى فرح ولا يملك نفسه أن يصيح .) يا معشر المسلمين أبشروا ! هذا رسول الله !

محمـــد : (يشير إليه) اسكت !

المسلمون : (ينهضون) أين ؟ أين ؟

(ثم يجرون نحو الحفرة التى وقع فيها النبى)

أبو بكر : (يثب فرحا) رسول الله بخير ؟ !

عمـــر : (يجرى نحو النبى) حمداً لك اللهم ! . .

عـــلى : (ينهض محمـــداً من الحفرة) هو اللعين ابن قميئة الذى فعل هـذا !

كعب : نعم وقد قتل مصعبا بن عمير !

محمـــد : (وهو يمسح الدم الذى يسيل على وجهه .) كيف يفلح

قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم !

أبو سفيان : (يصيح من بين صفوف قريش :) أيها الناس ! أفى القتلى محمد ؟ أفى القتلى محمد ؟ أفى القتلى محمد ؟

محمـــد : (لصحبه) لاتجيبوه .

أبو سفيان : (صائحا) أفى القتلى ابن أبى قحافه ؟

محمـــد : لاتجيبوه !

أبو سفيان : (يمضى فى الصياح) أفى القتلى ابن الخطاب ؟

محمـــد : لا تجيبوه !

أبو سفيان : (لقومه صائحا) هؤلاء قد قتلو وقد كفيتموهم !

عمـــر : (يملك نفسه أن يصيح :) كذبت والله ياعدوّ الله ! إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك

(أبى بن خلف يسمع قول عمر فيأتى مسرعا رافعا سيفه . . . .)

ابن خلف : أى محمد ! لانجوتُ إن نجوتَ !

علـى : (للنبى) أيعطف عليه رجل منّا ؟

محمـــد : دعوه !

ابن خلف : (يدنو صائحا) أين محمد ؟

محمـــد : (يتناول رمحا من أحد أصحابه وينتفض به انتفاضة شديدة ويستقبل ابن خلف فيطعنه به) خذ !

ابن خلف : (فى ألم وروع) آه ! قتلنى محمد !

(يرجع إلى قومه ويسقط بينهم)

عمـــر : فلنعل الجبل يارسول الله . لايلحقوا بنا .

(يصعدون بمحمد الجبل)

عـــلى : (ينظر أسفل الجبل) هذا خالد بن الوليد فى رجال يعلون خلفنا الجبل .

محمـــد : اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا !

عمـــر : فلنقاتلهم حتى نهبطهم !

أبو بكر : ارموهم بالنبل والحجارة !

(يرمونهم حتى يهبطوا الجبل)

خالد بن الوليد : (فى أسفل الجبل ينظر إليهم وهم يصعدون .) لقد فرّوا ! فما هم إلاّ بضعة رجال لا غناء فيهم بعد أن ذهب جيشهم !

أبو سفيان : (يصيح) أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ! أعل هُبَل ! أعل هُبَل !

محمـــد : (لأصحابه) ألا تجيبونه ؟

عمـــر : بماذا نجيبه يا رسول الله ؟

محمـــد : قولوا ، الله أعلى وأجلّ ! لا سواء . قتلانا فى الجنه وقتلاكم فى النار . .

(عمر والمسلمون يصيحون بما أمرهم به النبى . . . .)

أبو سفيان : (يصيح) يا أصحاب محمد ! لنا العزّى ولا عزّى لكم !

محمـــد : قولوا له : الله مولانا ولا مولى لكم .

(المسلمون يصيحون بما أمروا به . . . .)

علـــى : (ينظر) لقد ذهبوا . . .

محمـــد : (لعلى) اخرج فى آثارهم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وإن ركبو الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم !

(على يذهب لما أمر به . . . .)

كعب : (يقبل محزونا) يا رسول الله ! إن حمزة فى القتلى !

محمـــد : (فى دهش) حمزة . . !

كعب : (مرتجف الصوت) نعم . وقد وقفت هند ونسوة معها من قريش يمثلن بالقتلى من أصحابنا يجدعن الآذان والآنف ، وقد اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم قلائد ، وقد بقرت بطن حمزة عن كبده فأخرجتها فلاكتها بأسنانها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها !

محمد : (فى دهش) من قتله ؟

كعب : وحشى ، غلام جبير بن مطعم .

هند : (تعلو صخرة مشرفة وتصيح) يا أصحاب محمد !

كعب : (يلتفت) تلك هى !

هند : (تصيح)

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت وحشىّ غليل صدرى

فشكر وحشيّ عليّ عمري

حتى ترم أعظمي في قبري ! . .

(تهبط وتتبع قومها)

أبو سفيان : (يمر بجثة حمزة فيضرب في شدقة بزج الرمح) ذق عقق ؟

الحليس : (خلفه وقد رآه يفعل ذلك) هذا سيد قريش يصنع بابن عمه هذا ! !

أبو سفيان : (يلتفت خلفه فيرى الحليس) ويحك ! ! اكتمها عني ! فإنها كانت زلة .

الحليس : (كالمخاطب لنفسه ساخطاً وقد رأى الجثث المقبورة .) ما هذا المثل بالرجال !

أبو سفيان : (يلتفت ناحية المسلمين ويصيح يا أصحاب محمد ! إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت ! إن موعدكم بدر للعام القابل !

(يذهب مع القوم)

محمد : (لعمر) قل نعم ، بيننا وبينك موعد !

أبو بكر : أين ذهب الناس ؟

كعب : قومنا ؟ فى كل واد . لقد ولى الناس عن رسول الله إذ سمعوا من صاح فيهم : « محمد قد قتل » !

عمر : نعم والله لقد سمعنا هذا فلم ندر ما نصنع من الروع .

أبو بكر : لقد فت فى أعضاد المسلمين !

محمد : (يتلو) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . !

على : يارسول الله ! إن قريشاً قد جنبت الخيل وامتطت الإبل ووجهت إلى مكة !

محمد : (محزونا) فلنر قتلانا ! هلموا بنا إلى بطن الوادى نرى قتلانا !

(يهبطان إلى بطن الوادى :)

على : رسول الله يلتمس حمزة (يصيح فجأة أمام جثة مقبورة) ها هو ذا . . اللهم غفراً !! . . بئس ما صنعوا به ! بئس ما صنعوا به ! . .

(صمت عميق وحزن شامل يخيمان على الجميع . . .)

كعب : (يدنو من النبى) يارسول الله ! إن صفية أخت حمزة قد أقبلت لتنظر اليه !

محمد : إلقها فارجعها لاترى ما بأخيها !

كعب : (لصفية خلف الناس) إن رسول الله يأمرك أن ترجعى.

صفية : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى وذلك فى الله . فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله

كعب : (يتركها ويذهب للنبى) يا رسول الله ، لقد بلغها أن قد مثل بحمزة وتقول إن ذلك فى الله ، وهى راضية صابرة

محمد : خل سبيلها !

(كعب يذهب اليها ويأتى بها)

صفية : (تأتى وتنظر إلى جثة حمزة المقبورة) إنا لله وإنا اليه راجعون ! اللهم اغفر له !

(ثم تدير وجهها وتذهب لسبيلها . . . . . .)

محمد : (ناظراً إلى جثة حمزة المقبورة) والله لولا أن تحزن

بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على

قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم !

المسلمون : (فى حزن وغيظ) والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من

الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب !

محمد : (مخاطبا جثة حمزة) لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت

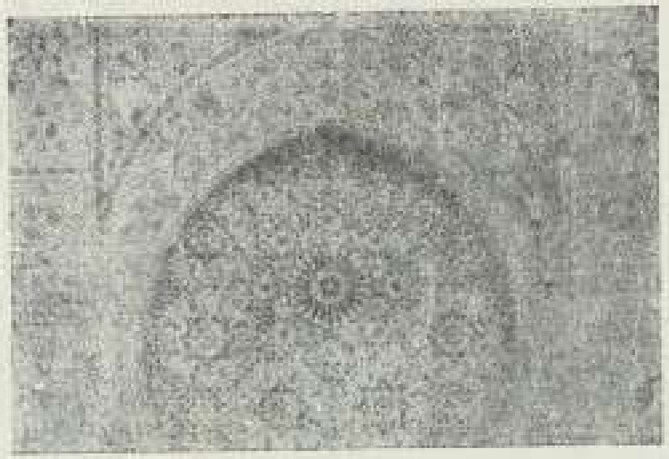
موقفاً قط أغيظ إلىّ من هذا !

جبريل : (يهبط على محمد) وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله،

ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون .

محمد : (لأصحابه) الصبر خير لنا ! اصبروا ، ولا تمثلوا بأحد !..



المنظر الرابع عشر

« فى المدينة — أمام المسجد ومساكن
النبى . . . المدينة تبكى . . . . »

عمر : (يصغى إلى البكاء والنوائح فى المنازل) الناس تبكى على قتلاها!

محمد : (يذرف دمعة) لكن حمزة لا بواكى له !

(سعد بن معاذ ينهض ويهمس إلى
أسيد بن النضر . . . .)

سعد : إذهب يا أسيد وأمر نساءنا أن يتحزمن ثم يأتين فيبكين على عم رسول الله :

(أسيد يذهب)

عمر : (يرى امرأة تسأل الناس) من هذه المرأة ؟

أبو بكر : تلك حمنة زوجة مصعب بن عمير تسأل فيما أرى عن ذويها

إنع إليها أهلها يا سعد !

سعد : (يدنو منها) يا حمنة ! استرجعي واستغفري لأخيك !

حمنة : (في صبر وثبات) إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم اغفر له !

سعد : واسترجعي واستغفري لخالك !

حمنة : (في صبر وثبات) إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم اغفر له !

سعد : واسترجعي واستغفري لزوجك !

حمنة : (لا تملك نفسها أن تصيح) مصعب ! قتل ! قتل مصعب

زوجي ؟! ويلاه ويلاه ! ويلاه !

(تصيح وتولول تذهب لا تلوي على شيء . . . .)

محمد : (كالمخاطب لنفسه) إن زوج المرأة منها لبمكان !

(تأتي نساء الأنصار ويبكين على باب المسجد . . . .)

النساء : (باكيات)

بكت عيني وحق لهـــا بكاها

وما يغني البـــكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا

أحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعا

هناك وقد أصيب به الرسول

عليك سلام ربك فى جنان

مخالطها نعيم لا يزول !

محمد : من هؤلاء ؟

أبو بكر : نساء الأنصار .

محمد : (فى تأثر) رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن ! .

(يقوم سعد بن معاذ إلى النساء فيشير إليهن بالانصراف . . . . يرتفع داخل المسجد صوت عبدالله بن أبي)

ابن أبيّ : أيها ! هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه !

المسلمون : (ينهضون إليه) اجلس أى عدوّ الله ! لست لذلك بأهل وقد صنعتَ ما صنعت .

ابن ابى : ألا تسمعون إلىّ إذ أقول لكم انصروا رسول الله ؟..

المسلمون : (يأخذون بثيابه) أيها المنافق وهل نصرته أنت يوم انخزلت عنه بثلث الجيش؟! (يخرجونه من المسجد) لقد حقّ عليك القتل!

ابن أبى : (خارجا من المسجد) والله لكأنما قلت شراً، أن قمت أشدد أمره!

سعد : (ينهض إليه) مالك ويلك؟

ابن أبى : قمت أشدد أمره فوثب علىّ رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى، لكأنما قلت شراً!

سعد : ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله :

ابن أبى : والله ما أبتغى أن يستغفر لى.

(يذهب)

محمد : (لسعد وقد عاد) أليس هذا عبد الله بن أبىّ؟

سعد : نعم يا رسول الله!

محمد : ما له؟

(زيد بن ارقم يدنو من النبى)

زيد : إنه منافق يا رسول الله. لقد سمعت منه قولاً عظيماً فى

ذات يوم فلقد ازدحم أحد الأنصار وأحد المهاجرين على الماء فاقتتلا ، فصرخ الأنصارى يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجرى يا معشر المهاجرين ، فغضب ابن أبى للأنصارى وقال فى رهط من قومه : « أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قالوا سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » !

عمـر : أو هكذا قال ؟

زيـد : (يمضى فى كلامه) نعم والله ، ولقد أقبل على من حضره من قومه فقال لهم أيضاً : « هـذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ، لتحولوا إلى غير داركم » !

عمـر : (لا يتمالك) يا رسول الله ! مر به بلالاً فليقتله .

محمـد : (فى تفكير وإطراق) أقتله ؟

عمـر : نعم .

محمـد : كلا .

عمـر : لماذا يا رسول الله ؟

محمد : كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا

سعد : (ينظر) هذا ابنه قادماً .

أبو بكر : أرى والله أن قد بلغه رأى المسلمين فى أبيه .

ابن ابن أبى : (يمثل بين يدى النبى) يا رسول الله ! إن أبى قد نافق فيما
أسمع . وقد بلغنى أنك تريد قتله فان كنت لا بد فاعلاً .
فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه .

محمد : أنت ؟ !

ابن ابن أبى : نعم . والله لقد علمت الناس ما كان من رجل أبر
بوالده منى ، لكنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا
تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتله
فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار .

محمد : (فى رفق وابتسام) كلا لن نقتله .

ابن ابن أبى : لن نقتله ؟ !

محمد : بل نترفق به . ونحسن صحبته ما بقى معنا

المنظر الخامس عشر

في مكة — أصوات الفرح والسرور
تنطلق من أرجائها ....

أبو سفيـان : الآن فلنضرب الدفوف ولتعزف لنا القيان !

خالد ابن الوليد : (يلتفت) انظروا من هؤلاء ؟

عمرو بن العاص : (ينظر) هم فيما أرى رجلان من أصحاب محمد . قد جاء بهم رجال من عضل والقارة . .

(يأتي رجال في سلاحهم معهم أسيران
من أصحاب محمد هما خبيب بن عدي
وزيد بن الدثنة ....)

أبو سفيان : ممن الرجال ؟

الرجال : نحن من عضل والقارة وقد جئناكم بأسيرين ؟

عمــــرو : أين وجدتموهما ؟

الرجال : عند محمد قدمنا عليه فقلنا له : إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين، فبعث معنا نفراً ستة من أصحابه فخرجنا حتى إذا كنا على الرجيع غدرنا بهم ولم يرعهم وهم فى رحالهم إلا نحن بأيدينا السيوف قد غشيناهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلونا فقلنا لهم «إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة فلم يقبل ثلاثة منهم فقاتلونا فقتلناهم ولحق بهم رابع ونحن فى بعض الطريق أراد أن يستل سيفه فاستأخرنا عنه ورميناه بالحجرة حتى قتلناه . وبقى هذان نريد أن نبيعهما لمن له عليهما ثأر من أهل مكة .

أبو سفيـــان : مرحى ! مرحى !

صفوان بن أمية : أنا ابتاع زيداً لأقتله .

حجير بن أهاب : وأنا أبتاع خبيباً لأقتله .

الرجال : جئنا أيضاً برأس أحد القتلى وهو ابن أبى الأقلح

لتبيعه من سلافه بنت سعد .

خالد ابن الوليد : نعم ، لقد كانت نذرت حين أصاب ابنها يوم أحُد ، لتشربن فى قحفه الخمر !

صفوان : (يشير لعبده نسطاس إلى زيد) يا نسطاس ! اقتله !

نسطـــاس : (يأخذ سيفا ماضيا ويقترب من زيد) نعم .

أبو سفيان : (لزيد) يا زيد !. أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وانك فى أهلك ؟!

زيـــد : (وقد اعدت عنقه للضرب) والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهـــلى

أبو سفيان : (لمن حوله فى عجب) ما رأيت من الناس أحداً ، يحب أحداً ، كحب أصحاب محمد محمداً

نسطاس : (يضرب عنق زيد) خذها إذن !

حجير : إنى أريد أن يصلب خبيب :

أبو سفيان . اصلبوه !

(يقومون إلى خبيب . . .)

خبيب : إن رأيتم أن تدعـونى حتى أركع ركعتين فافعلوا .

أبو سفيان : دونك فاركع !

(خبيب يركع ركعتين . . .)

حجير : هاتوا الخشبة !

(خبيب ينهض إليهم)

أبو سفيان : أفرغت ؟

خبيب : نعم أما والله لو لا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل . لاستكثرت من الصلاة :

حجير : ارفعوه على الخشبة وأوثقوه !

(يرفعونه ويصلبونه ويوثقونه)

أبو ميسرة : أعطونى الرمح أطعنه حتى يموت .

حجير : (يعطيه الرمح) خذ !

خبيب : (وهو مصلوب) اللهم إنّا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنعُ بنا !

أبو سفيان : أين نبيك يدفع عنك القتل !

خبيب : (صائحاً ووجهه للسماء) اللهم احصهم عـدداً ، واقتلهم

بدداً ، ولا تغادر منهم أحـــداً !

قريش : (تقف واجمة لهذه الدعوة)

عمرو ابن العاص : ما لكم وجمتم ، اضطجعوا لجنوبكم حتى تزول عنكم الدعوة !

(قريش تضطجع فى الحال لجنوبها)

حجـــير : اطعن يا أبا ميسرة !

(يطعن خبيب حتى يموت)

المنظر السادس عشر

« في المدينة — النبي أمام المسجد »

أبو بكر : يارسول الله ! إن النفر الستة من أصحابك الذين بعثتهم مع رهط عضل والقارة ليعلموهم شرائع الإسلام قد غدر بهم القوم وقتلوا منهم من قتلوا وأسلموا الباقين لقريش فقتلوهم !

محمـــد : إنا لله وإنا إليه راجعون !

أبو بكر : وإن نفراً من اليهود يطوفون بالقبائل يحزبون علينا الأحزاب . ولقد ذهبوا إلى مكة يدعون قريشاً إلى حربك ، قائلين لهم فيما بلغني « انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله » . وان قريشاً قالت لهم : « يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد ،

أفديننا خير أم دينه ؟ » فقالوا لهم : « بل دينكم خير من دينه »

محمد : (يتلو) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ؟ أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا !

أبو بكر : نعم قد لعنهم الله !

عمر : أو نشطوا للحرب ؟

أبو بكر : واتعدّوا له ، واجتمعوا من كل القبائل، وخرجوا فى جيش لم تر العرب مثله .

عمر : وهل لنا قبل بحرب العرب مجتمعة ؟

محمد : نعم ، إن العرب ترمينا الآن عن قوس واحدة .

عمر : وما الرأى ؟

محمد : أيها الناس أشيروا على

(سلمان الفارسى يتقدم)

سلمان : يا رسول الله ، إن عندى رأياً .

محمد : قل يا سلمان !

محمــد : قل يا سلمان !

سلمان : نجعل حول المدينة خندقا !

عمــر : خندقا ؟! ؟

سلمان : انا معشر الفارسيين كنا إذا دهمنا عدو خندقنا على أنفسنا .

محمــد : (يفكر قليلا) نعم الرأى . إضربو الخندق على المدينة .

(ينهض وينهض معه المسلمون)

عمــر : الآن يا رسول الله ؟؟؟

محمــد : الآن ، وانى أعمل فيه معكم !

المنظر السابع عشر

« الخندق وقد تم حفره إلا صخرة فيه ما الحون كسرها . . . »

أبو بكر : لقد حفر الخندق .

عمـــر : نعم ، ولم تبق إلا ناحية . . . .

أبو بكر : تلك ناحية بنى قريظة وهم حلفاؤنا من يهود ولا يأتينا منهم شر .

سلمان : (وقد جهد تعبا دون أن يكسر الصخرة) يا رسول الله !

لقد غلظت علينا هذه الصخرة .

محمـــد : (يقبل عليهم) آتونى إناء من ماء .

سلمان : (يسرع ويحضر إناء) ها هو ذا .

محمـــد : (يتفل فى الماء وينضح به الصخرة) هات المعول يا سلمان !

سلمان : خذ يا رسول الله !

محمد : (يرفع المعول فوق الصخرة) بسم الله !

(ثم يضرب الصخرة ثلاث ضربات فيلمع برق تحت المعول وتنهار الصخرة . . .)

المسلمون : الله أكبر !

عمر : لقد انهالت الصخرة وعادت كالكثيب !

محمد : (يعيد المعول إلى سلمان) خذ ! إنها الآن لا ترد فأساً ولا مسحاة

سلمان : بأبي وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت قد لمع تحت المعول وأنت تضرب الضربات الثلاث . .

محمد : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟

سلمان : نعم .

محمد : أما الضربة الأولى فإن الله فتح علىّ بها الشام ، والله لقد أبصرت قصورها الحمر من مكانى هذا ، وأما الثانية فإن الله فتح علىّ بها فارس ، والله لقد أبصرت قصر المدائن الأبيض الآن . وأما الثالثة فقد أعطانى الله بها مفاتيح اليمن ، والله لقد أبصرت الساعة باب صنعاء .

المسلمون : (فرحين) اللهم لك الحمد !

(ثم يقرب النبى فداه فى ثوبها حفنة من

الفتــــاة : اللهم لك الحمد !

محمـــــد : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟

الفتــــاة : يا رسول الله ، هـــذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير وخالي عبد الله يتغديانه

محمـــــد : (يمد كفيه) هاتيه !

(الفتاة تضع التمر في كف النبي)

الفتــــاة : إنه لا يملأ كفيك .

محمـــــد : أبسطوا ثوباً !

(يأتي بلال بثوب ويبسطه على الأرض فيدحو النبي بالتمر عليه . . . . .)

بـــلال : قد تبدد التمر فوق الثوب .

محمـــــد : (لبلال) اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء !

المنظر الثامن عشر

« المسلمون عند الخندق وقد حاصر العدو وربض بخيامه وعسكره في الجهة المقابلة . . . . »

أوس : (من المسلمين) اللهم ارفع عنا الحصار !

معتب : (من المسلمين ناظرا إلى جيش العدو) انهم بحر طام !

أوس : لولا الخندق لأغرقنا .

معتب : نعم ، لقـــد صدهم الخندق يوم جاءوا ووقفوا عليه . وصاحوا إذ رأوه . «ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » !

أوس : نعم، تلك مكيدة فارسية، ولكنهم مع ذلك لم يبرحوا، وأقاموا قبالتنا بضعاً وعشرين ليلة!..

معتب : صدقت يا أوس، وما يكاد ينكشف لهم واحد منا حتى يرموه بالنبل.

أوس : (يريد أن ينصرف) اللهم أطش سهامهم. انى ذاهب.

معتب : إلى أين يا أوس؟

أوس : إلى بعض حاجتى ثم أعود.

معتب : إلى الغائط؟ لا تفعل. ان المكان لعورة. وقد أصيب بنبل العدو كل من ذهب قبلك.

أوس : وما نصنع؟ لقد أتانا العدو من فوقنا ومن أسفل منا. ولا نستطيع لأنفسنا حراكا.

معتب : حقاً!

أوس : (يلتفت إلى جهة النبى) أنظر يا معتب! هذا رسول الله مطرقاً ملياً.

معتب : (يلتفت) إنه يرى أن قد اشتد علينا البلاء!

أوس : إن أبا بكر وعمر يتساران. لكأنى أرى أن قد حل الخطب

أنظرنى حتى أسترق السمع وأعلم الخبر !

(يقترب من أبى بكر وعمر)

عمـــر : (همسا فى دهش) حلفاؤنا من بنى قريظة خانوا عهدنا ؟!

أبو بكر : (همسا فى دهش) نعم .

محمـــد : (يرفع رأسه ويخاطب سعد بن معاذ وابن عبادة وابن رواحة) انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا إلى لحناً أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس . وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

(سعد وصاحباه ينطلقون مسرعين)

أوس : (يعود إلى معتب هامسا) أتدرى ما الأمر ؟ لقد أخذنا من كل جانب .

معتب : كيف ؟

أوس : حلفاؤنا من بنى قريظة قد خانوا عهدنا .

معتب : لئن كنت قد صدقتنى ، فقد والله أتينا .

أوس : وما الرأى ؟

معتب : لا أرى إلا أننا هالكون .

أوس : والنصر الذى وعدنا نبى الله ؟

معتب : لست أدرى والله . ولقد وعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

أوس : (يلتفت نحو النبى) أنظر ! على بن أبى طالب يسرع إلى النبى فى أمر .

على : (للنبى) يارسول الله ! أرى فرساناً قد تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه .

أبو بكر : (ينظر) نعم ، وإنى والله لأرى على رأسهم ضرغام العرب وصنديدهم عمرو بن وُدّ !

على : ايذن لى يارسول الله ، أخرج اليهم فى نفر من المسلمين حتى نأخذ عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم .

أبو بكر : (يلتفت) هذا عمرو بن وُدّ قد برز .

عمر : وعليه درعه !

(عمرو بن ود يتقدم على فرسه)

ابن ود : هل من مبارز ؟

على : (للنبى) أنا له يانبى الله .

محمـــد : (لعلى) أجلس ! إنه عمرو !

عمرو بن وُدّ : (يصيح) أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لى رجلا ؟

علـى : أنا يا رسول الله .

محمـــد : إنه عمرو ، اجلس !

عمرو بن وُدّ : (يصيح) ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

وقت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز

علـى : يارسول ، أنا له .

محمـــد : (فى خشية) إنه عمرو .

علـى : (فى قوة) وإن كان عمراً ، إيذن لى !

محمـــد : (فى صوت خافت ، بين خشية ورجاء) أذنت .

علـى : (ينطلق وهو مقنع بالحديد إلى عمرو بن ود صائحا)

لاتعجلن فقـــد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز

ابن وُدّ : (فى غضب وصوت كالرعد) من أنت ؟

ابن وُدّ : (فى شىء من الرفق) غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك . لقد كان أبوك لى صديقاً . أنى أكره أن أهريق دمك

على : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك .

ابن وُدّ : (مغضبا يقبل عليه راكبا فرسه) إلى النزال !

على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معى !

ابن وُدّ : (ينزل عن فرسه ويضرب عليا بسيفه) خذ ياسفيه !

على : (يتلق الضربة بدرقته ثم يضرب خصمه بسيفه على حبل العاتق) خذ ياعدو الله !

(يسقط ابن ود قتيلا)

المسلمون : (يهتفون) الله أكبر ! الله أكبر !

أبو بكر : (فى فرح للنبى) إن علياً قد قتله !

عمر : نعم ، هاهو ذا علىّ مقبلاً وهو متهلل .

على : (يحضر باسما) يارسول الله ! لقد خرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة بعد أن قتل الأسد .

عمر : (لعلى) هلا سلبته درعه ؟ فانه ليس فى العرب درع

على : إنى حين ضربته استقبلنى بسوأته ، فاستحييت ابن عمى أن أستلبه .

(أبو بكر يلتفت يمينه)

أبو بكر : سعد بن معاذ قد عاد مع صاحبيه ،

(يأتى سعد . . . .)

سعـد : (للنبى فى لهجة ذات مغزى) عضل والقارة !

محمـد : (همسا فى تجهم كالمخاطب لنفسه) عضل والقارة !

عمـر : (همسا لأبى بكر) ماذا يعنى سعد ؟!

أبو بكر : (همسا لعمر) يعنى أن بنى قريظة قد غدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع !

عمـر : بخبيب وأصحابه !؟

أبو بكر : نعم . .

عمـر : وما الرأى ؟

أبو بكر : (ينظر إلى محمد) صه ! . . .

محمـد : (يرفع رأسه متجلدا ويصيح) الله أكبر ! أبشروا يامعشر المسلمين !

محمـــد : (يتفكر قليلا) اقترب ياسعد ، وأشر عليَّ ! إنى أرى أن نعطى غطفان ثلث ثمار المدينة على أن ترجع برجالها ومن تابعها عنا !

سعـــد : يارسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟

محمـــد : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرما

سعـــد : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله مالنا بهذا من حاجة ، لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

محمـــد : أنت وذاك .

ع... : يا رسول الله ، هذا رجل من غطفان قادماً إليك

محمـــد : أرسله !

(يأتي نعيم بن مسعود)

نعيم : يارسول الله ، إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت .

محمـــد : إنما أنت فينا رجل واحد ، فاخذل عنا إن استطعت ، فان الحرب خدعة .

نعيم : قد فعلت !

سعـــد : (فى استبشار كالمخاطب لنفسه) ماذا فعلت ؟

نعـــيم : (للنبى) ذهبت إلى بنى قريظة وكنت لهم نديماً فقلت : يابنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم ، قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقلت ، إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فان رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم

تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم .
يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى
تناجزوه ، فقالوا لقد أشرت بالرأى ، فغادرتهم وذهبت
إلى قريش فقلت لأبى سفيان ومن معه من رجال قريش
قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمداً وإنه قد بلغنى امر قد
رأيت علىّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عنى
قالوا نفعل ، قلت إن معشر يهود قد ندموا على غدرهم
بمحمد وقد أرسلوا اليه إنهم قد ندموا على مافعلوا وإنهم
يعرضون عليه أن يأخذوا له من قريش وغطفان رجالا
من أشرافهم ليضرب أعناقهم ، ثم يكونون معه على من
بقى منكم حتى يستأصلوكم، فان بعثت إليكم يهود يلتمسون
منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً
ثم تركتهم وخرجت حتى أتيت غطفان فقلت يامعشر
غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم
تتهموننى ، قالوا صدقت . فقلت لهم مثل ماقلت لقريش

محمد : جزاك الله خيراً ، يانعيم ؟! وبعد ؟

(تعصف ريح شديد)

نعيم : (يلتفت) ما هذه الريح العاصفة !!

سعد : وبعد يا نعيم ؟ ما حدث ؟

نعيم : حدث فيما بلغني أن أبا سفيان ورؤوس غطفان أرسلوا إلى بنى قريظة قائلين لهم ، إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً . فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فمسخوا قردة وخنازير . ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، فلما سمع ذلك أبو سيفان ورجاله قالوا والله إن الذى حدثنا نعيم لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة : « إنا والله لا ندفع إليك رجلاً واحداً من رجالنا » فقالت بنو قريظة عند ذاك : « إن الذى ذكر لنا نعيم لحق انا والله لا نقاتل معهم » . .

سعد : أفسد ما بينهم وبين قريش .

نعيم : هذا ما انتهى إلىّ .

أبو بكر : الحمد لله . خذل الله يهود .

عمر : يارسول الله انظر! إن الريح قد كفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وهدمت بناءهم!

محمد : تلك جنود الله!

على : (يقدم فرحا) يا رسول الله، أبشر!

عمر :ماذا؟

على : قريش ترحل.!

عمر : (ينظر) نعم أرى أبا سفيان على جمله فى الناس..

أبو بكر : صه انه يريد إن يخطبهم.

أبوسفيان: (عن كثب قائماً على جمله) يا معشر قريش! انكم واللات ما صبحتم بدار مقام. لقدهلك الكراع والخف؟ وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فانى مرتحل!

(يضرب جمله وينطلق والناس فى أثره)

محمد : (متنفسا الصعداء) الحمد لله. لقد انطلق الأحزاب منهزمين من غير قتال.

على : يا رسول الله. أننصرف عن الخندق ونضع السلاح؟

محمد : نعم ..

(وفجأة ينزل عليه الوحي)

جبريل : أوقد وضعت السلاح ؟

محمد : نعم .

جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد . إن الله يأمرك يا محمد أن تسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم .

(يصبح جبريل)

محمد : (يصيح) أين بلال ؟

بلال : (يقبل مسرعا لبيك يا رسول الله !

محمد : أذن في الناس « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة » !

المنظر التاسع عشر

« محمد وجيشه أمام حصون
بني قريظة . . . . »

على : (راجعا من قرب الحصون) يا رسول الله ! لا عليك ،
أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث

محمد : (متجها إلى قرب الحصون) لم ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى

على : نعم . سمعتهم ينالون منك :

محمد : قد أوذى موسى بأكثر من هذا .

(يدنو من الحصون ، فيراه أحد رؤساء
بني قريظة وهو كعب بن أسد . . .)

كعب : (صائحا) من هذا ؟

محمـــد : (يصيح) يا أخوة القردة والخنازير ! إياى ، إياى . !
هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ !

كعب : (همسا لمن حوله من بنى قريظة) هذا أبوا القاسم .

بنو قريظة : أبو القاسم ؟ ! ما عهدناه فحَّاشاً !

كعب : يا معشر يهود ! قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى
عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم .

بنو قريظة : وما هى ؟

كعب : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم
وأبنائكم ونسائكم .

بنو قريظة : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

كعب : إذا أبيتم علىّ هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج
إلى محمد وأصحابه ، رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا
ثقلا ولا نسلا نخشى عليه .

بنو قريظة : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم !

كعب : إن أبيتم علىّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون
محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب منهم غرة

بنو قريظة: نمسخ سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا،

إلا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

كعب : (ساخطاً) ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة

من الدهر حازماً.

أخطب : عندى رأى؟

بنو قريظة: ما هو؟

أخطب : نطلب إلى محمد أن يبعث إلينا أبا لبابة لنستشيره فى أمرنا.

بنو قريظة: نعم الرأى.

كعب : انظروا حتى أفعل. (ينادى) يا أبا القاسم! ارسل إلينا

حليفنا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا.

محمـــد : لكم هذا.

(ثم يصدر أمراً من حوله بإرسال أبى لبابة)

كعب : أو تنزلون على رأيه؟

بنو قريظة: نعم.

كعب : ها هو ذا مقبلا.

بنو قريظة: أبا لبابة! أبا لبابة!

(يقبل أبو لبابة ويقوم إليه الرجال
ويجهش إليه النساء والصبيان يبكون
فى وجهه ....)

أبو لبابة : (فى رقة) أتبكون ؟

النساء : حليفنا أبا لبابة ! رق لحالنا !

الرجال : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟

أبو لبابة : (يشير بيده إلى حلقه ويهمس لهم) نعم . إنه الذبح .

(القوم يصمتون واجمين)

بنو قريظة : إنا ننزل إذن على حكم محمد

كعب : (يصيح) يا أبا القاسم . انا قد نزلنا على حكمك فاصنع بنا ما أنت صانع.

محمد : (صائحا بهم) اختاروا رجلا يحكم فيكم .

كعب : (لبنى قريظة) من ترضون يحكم فينا .

بنو قريظة : سعد بن معاذ .

كعب : يا محمد ! ننزل على حكم سعد بن معاذ .

محمد : (لمن حوله) علىّ بسعد !

عمر : ألا ننزلهم أولا من حصونهم ، ونحبسهم فى مكان حتى يحكم فى أمرهم ؟

محمـــد : نعم اذهب إليهم يا على . .

عـــلى : (يصيح) يا كتيبة الإيمان !

(ثم يذهب إلى المصون على رأس الكتيبة)

أبو بكر : (للنبي) هذا سعد بن معاذ قد أقبل فى رهط من الأوس .

الأوس : (همسا لسعد) يا أبا عمرو ! أحسن فى مواليك من بنى قريظة فإن رسول الله إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم !

سعـــد : (فى قوة) لقد أنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم .

محمد : (للأنصار) قوموا إلى سيدكم

الأنصار : (قائمين إلى سعد) يا أبا عمرو إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم .

سعـــد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟؟

الأنصار : نعم .

سعد : (مشيرا إلى النبى) وعلى من ههنا ؟

محمد : نعم .

سعد : إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون الدور للمهاجرين دون الأنصار

الأنصار : اخوتنا كنا معهم .

سعد : إني أحببت أن يستغنوا عنكم

محمد : (لسعد) لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة

عمر : أرى يارسول الله أن نخندق في سوق المدينة خنادق ثم نبعث إلى رجالهم فنضرب أعناقهم في تلك الخنادق.

محمد : نعم.

عمر : وأن نبعث أحداً بسبايا من سباياهم إلى نجد، فيبتاع لنا بها خيلا وسلاحاً . . .

محمد : نعم

المنظر العشرون

«النبي عند الخندق، ورجال بني قريظة
يؤتى بهم ارسالا فتضرب أعناقهم.»

بنو قريظة : (متقيدين في أغلال من حبال وسائرين إلى الخندق)

أتراهم يبيعون نساءنا في أسواق نجد!

كعب : لقد ارتأيت لكم ما هو خير من هذا فأبيتم.

بنو قريظة : وقد اصطفى محمد لنفسه من بين السبايا ريحانة بنت عمرو!

حيي بن أخطب: أو قد أسلمت؟!

بنو قريظة : من ذا يدرى .

كعب : (متنهدا) كتب علينا كل هذا

بنو قريظه : (لكعب) يا كعب ! ماتراه يصنع بنا ؟

كعب : (نافذ الصبر) أو فى كل موطن لاتعقلون ؟ ألا ترون الداعى لاينزع ، وانه من ذهب به منكم لايرجع ؟ هو والله القتل .

بنوقريظه : القتل !؟!

كعب : ألا ترون أمامكم الخنادق تجرى فيها الدماء . .

حى ابن أخطب : (وقد أشرف على الخندق) وهذا محمد يأمر بضرب الأعناق . .

محمد : (وقد أبصر حى بن أخطب) ألم يخزك الله ياحىّ ؟

حى ابن أخطب : (للنبى) كل نفس ذائقة الموت ، ووالله مالمت نفسى فى عداوتك !

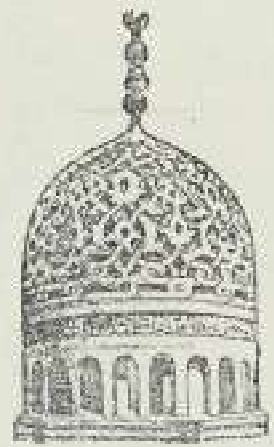
الجلاد : تقدم !

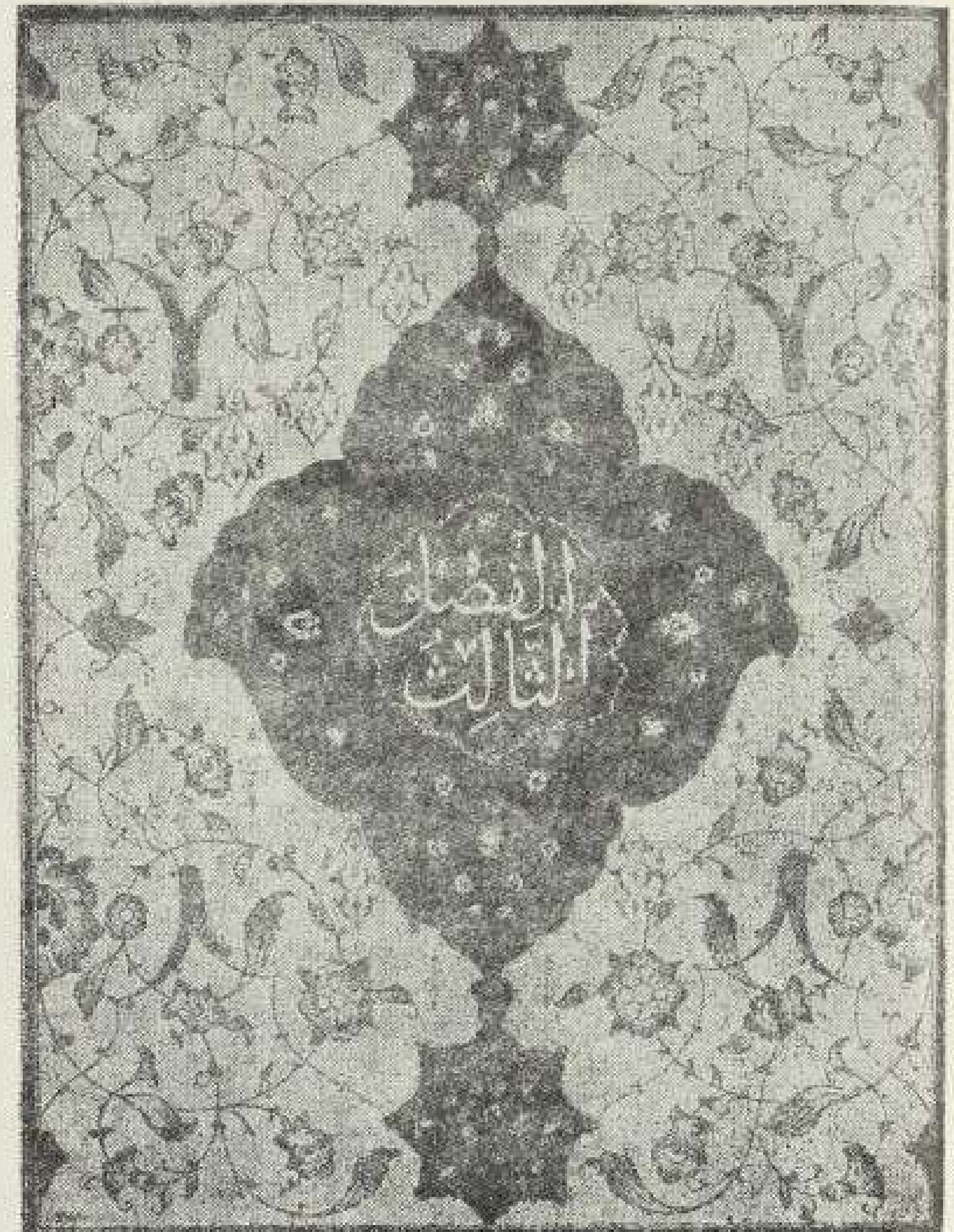
حي ابن أخطب : (للنـــاس) أيها الناس ! انه لا بأس بأمر الله ،

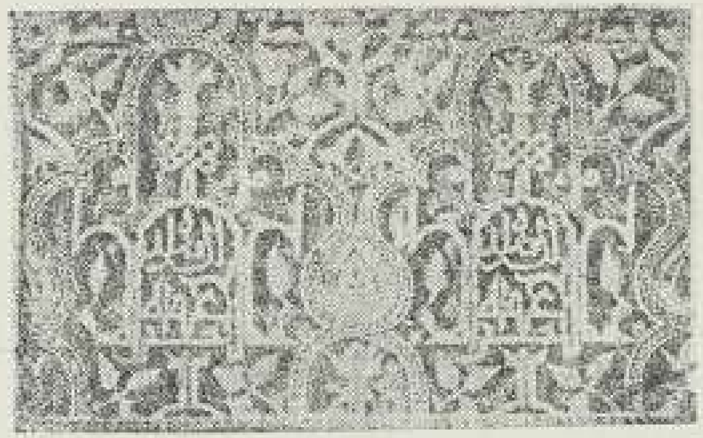
كتاب وقـــدر وملحمة كتبها الله عـــلى

بني اسرائيل !

(ثم يجلس ليضرب عنقه الجلاد)




الفصل الثالث



المنظر الأول

• عائشة فى مسكنها مع خادمتها
بريرة . . . . •

بريرة : ما لك ؟

عائشة : (مطرقة) ما بى من شىء .

بريرة : أتكتئبين ، وقد عاد النبى ظافراً من غزوة جديدة ؟ !

عائشة : بنى المصطلق .

بريرة : نعم .

عائشة : (فى قلق) أجاءوا بسبايا كثيرات ؟

بريرة : نعم ، ومن بينهن ابنة سيد القوم ، وقد وقعت فى سهم
أحد الأنصار . .

عائشة : (تنفرج أساريرها) وتمت فى سهم أحد الأنصار ! اللهم حمداً . ! (تعود إلى القلق والاطراق) نعم ، لكن هناك أخرى

بريرة : من ؟ تلك المرأة التى خطبها ؟

عائشة : (فى اطراق) لقد أرسلنى أنظر إليها .

بريرة : وماذا وجدتِ

عائشة : (ترى النبى داخلا) صه اذهبى يا بريرة !

محمد : أتوجهت إليها يا عائشة ؟

عائشة : نعم .

محمد : وماذا رأيت منها . ؟

عائشة : (فى فتور) ما رأيت طائلا .

محمد : (باسما) بلى ، لقد رأيت خالاً فى خدّها ، اقشعرت منه كل شعرة فى جسدك . !

بريرة : (تدخل) يا رسول الله ! امرأة من سبايا بنى المصطلق أتتك فى أمر لها .

محمد : من هى ؟

بريرة : جويرية بنت الحارث .

محمد : أين هى ؟

بريرة : بالبـــاب .

محمد : (متجها إلى الباب) تعالى يا جويرية !

عائشة : (همسا) يا بريرة !

بريرة : (همسا) إنها امرأة حلوة ملاحة !

عائشة : (تدنو من الباب وتلق نظرة على المرأة فيصفر وجهها وتهمس كالمخاطبة لنفسها) نعم . .

بريرة : (همسا) والله ما هو إلا أن رأيتها الساعة على بابك فكرهتها .

عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) أنا كذلك .

بريرة : (همسا) لقد عرفت أنه سيرى منها والله ما رأينا

(عائشة تطرق مليا صامتة)

محمد : بالباب) ما شأنك يا جويرية !

جويرية : (من الخارج) يارسول الله ! أنا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه . وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس . فكاتبته عـــلى نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى

محمد : (يطيل إليها النظر) هل لك فى خير من ذلك ؟

جويرية : وما هو يا رسول الله ؟

محمـــد : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك .

جويرية : (بغير تردد) نعم يا رسول الله .

محمـــد : قد فعلت .

عائشـة : (من خلفه غير متمالكة) أتتزوجها ؟

محمـــد : (يلتفت إلى عائشة) نعم .

عائشـة : (تخفى ما بها وتبتسم) على خير طائر !

محمـــد : أتكرهين ذلك ؟ ؟

عائشـة : ليس لى أن أكره ما تحب .

محمـــد : أصبتِ .

عائشـة : لقد حبّب إليك النساء .

محمـــد : حبب إلىّ الطيب والنساء !

المنظر الثانى

« أمام المسجد بالمدينة — بعض الناس يتهامسون .. على رأسهم عبدالله بن أبى وحسان بن ثابت ومسطح ... »

حسان : أصدقنا الخبر يا مسطح !

مسطح : والله لقد صدقتكم . إن العسكر كله يتحدث به !

حسان : (فى عجب) عائشة و . . صفوان ؟ !

مسطح : نعم ، لقد رأيتها بعينى على بعيره فيمن رآهما ، وقد طلعا مع الصبح وحدهما لا ثالث معهما ، وقد عاد العسكر من غزوة بنى المصطلق ونزل واطمأن .

عبد الله بن أبي : إن صفوان فتى جميل فى الرجال .

حسان : وهى صغيرة السن .

(أحد الأنصار ينهض صائحا غير متمالك)

الأنصارى : كفوا عن هذا القول واتقوا الله !

المنظر الثالث

« عائشة في مسكنها على فراش
المرض ، وإلى جوارها أمها
زينب أم رومان . . . . . . »

عائشة : يا أمي ! أتذكرين أني كنت إذا اشتكيت ، رحمني رسول الله ولطف بي . . ؟

زينب : (مطرقة) نعم .

عائشة : إنه لم يفعل ذلك بي في شكواي هذه !

(زينب تطرق ولا تجيب)

عائشة : (تنظر إلى وجه أمها) ما للونك مصفراً ؟

زينب : لا شيء بي .

عائشة : إنك تكتمينني أمراً .

أم مسطح : (تدخل مسرعة هامسة) رسول الله !

محمـــد : (متغير الوجه) كيف تيكم ؟ !

زينب : (فى إطراق) بخير يا رسول الله !

(يخرج النبى دون أن ينظر إلى عائشة
ويخرج زينب فى أثره لتشيعه . . . .)

عائشـة : (تتبعه بأنظارها حتى يذهب ، ثم تلتفت إلى أم مسطح)
أرأيتِ جفاءه لى ؟

أم مسطح : (تنظر إليها مشفقة) صبراً يا بنت أبى بكر !

عائشـة : لقد جاء وانصرف دون أن يخاطبنى بكلام إنى أرى فى
وجهه شيئاً ما كنت أراه من قبل ؟

أم مسطح : (كالمخاطبة لنفسها) تعس مسطح !

عائشـة : ماذا تقولين ؟

أم مسطح : تعس مسطح !

عائشة : لماذا تقولين ذلك له ؟ بئس لعمر الله ماقلت لرجل من
المهاجرين ، قد شهد بدرا .

أم مسطح : أو تجهلين مايتحدث به الناس ؟

عائشة : (فى قلق) بماذا يتحدث الناس ؟

أم مسطح : [illegible] ؟

عائشة : (فى قلق) ماذا ؟

أم مسطح : ليلة عاد العسكر من غزوة بنى المصطلق قد رآكما مسطح منفردين . وأنت على بعير صفوان ، وحدث به الناس ، ولا أرى إلا أن النبى قد علم به . . .

عائشة : (صائحة قائمة مستوية فى فراشها) أنا وصفوان ؟

أم مسطح : إنى أراه والله حديث إفك .

عائشة : أنا وصفوان ؟ ! أنا أنا . . . (تنفجر باكية)

أم مسطح : هوّنى عليك ! هوّنى عليك !

زينب : (تعود مسرعة) ما بكاؤك هذا ؟

عائشة : (لأمها) يغفر الله لك . تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ؟ !

زينب : (مطرقة) أى بنية ، خفضى عليك الشأن . فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

عائشة : (تبكى) أنا وصفوان ! أنا وصفوان ! .

زينب : (فى ألم) لا تبكى هذا البكاء !

عائشة : (لأم مسطح وهى تجهش) أتقولين إن مسطحاً قد
رآنا . ؟.

أم مسطح : هوّنى عليك إنه حديث إفك .

عائشة : (باكية) إنى . . . إنى حقاً كنت على بعير صفوان . .

أم مسطح : (فى عجب) حقاً ؟!

زينب : (تلتفت إلى ابنتها) أنت ؟!

عائشة : انتظرا ، أقص عليكما الخبر ! . .

زينب : قصّى !

عائشة : (تكفكف دموعها) تعلمان لما كانت غزوة بنى المصطلق ، اقترع رسول الله بين نسائه كما يصنع ، فخرج سهمى عليهن فخرج بى ، فلما فرغ من سفره ذلك وجه قافلا ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل . فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت إلى الرحل ذهبت

فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته
وجاء القوم الذين كانو يرحلون لى بعيرى فأخذوا الهودج
وهم يظنون أنى فيـــه كما كنت أصنع ، فاحتملوه
فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس
البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع
ولا مجيب ، قد انطلق الناس فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت
فى مكانى وعرفت أن لو افتقدت لرُجع إليه . فوالله إنى
لمضطجعة إذ مرّ بى صفوان السلمى وقد كان تخلف عن العسكر
لبعض حاجته ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ ،
وقد كان يرانى ، فلما رآنى قال إنّا لله وإنا إليه راجعون
ظعينة رسول الله !! وأنا متلففة فى ثيابى ، قال ما خلّفك
يرحمك الله ؟ فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبى واستأخر
عنى فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب
الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ،
ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال
أهـــل الإفك ما قالوا . . ووالله ما أعلم بشىء من

ذلك إلاّ منك يا أم مسطح الآن !

أم مسطح : لا تبكى . .

عائشة : الآن أدركت علة ما كنت أنكر من رسول الله . إنى لأدرك الساعة ما به

المنظر الرابع

(محمد قائم فى الناس يخطبهم أمام المسجد . . . .)

محمد : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى . .

(ينهض أسيد بن حضير)

أسيد : يارسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا اخواننا من الخزرج فمر بأمرك . فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . .

(ينهض سعد بن عبادة)

سعد : كذبت لعمر الله ، لانضرب أعناقهم ، أما والله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقلت هذا .

أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين !

(الناس يتساورون ويكاد يكون بين الفريقين شر ....)

محمد : (ينزل بينهم) انفضوا ، انفضوا ! ..

على : (يصيح فى الناس :) انفضوا أيها الناس ، كما أمركم رسول الله

محمد : إبق أنت ياعلىّ !

على : أنا يارسول الله ؟

محمد : (وهو ينظر إلى أسامة بن زيد) نعم وابق أنت ياأسامة !

(ينصرف الناس ويبقى النبى وعلى وأسامة

أسامة : فداك أبى وأمى يارسول الله .

محمد : أشيرا علىّ !

أسامة : يارسول الله أهلك ، ولا نعلم إلا خيراً وهذا الكذب والباطل

محمد : وأنت ياعلىّ ماترى ؟

علـــى : يارسول الله ، إنّ النساء لكثير . وإنك لقادر على أن تستخلف وسل جاريتها فانها ستصدُقك .

محمد : عَلىّ بالجارية .

علـــى : (يخطو نحو مسكن النبي وينادى) يابريرة !

بريرة : (تخرج مسرعة) لبيك !

علـــى : (يقبض على ذراعها ويضربها) أصدق رسول الله !

بريرة (تصرخ ألما) فيم ؟ فيم ؟

علـــى : ماتعلمين عن مولاتك ؟

بريرة : والله ماأعلم إلا خيرا وما كنت أعيب عليها شيئا إلا انى كنت أعجن عجينى ، فأرجو منها أن تحفظة ، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله . .

المنظر الخامس

« فى مسكن عائشة — وهى بين
أبويها تبكى ، والنبى مطرق على
مقربة منهم .... »

محمـــد : (يرفع رأسه) يا عائشة ! إن كنت قارفت سوءاً مما يقول
الناس ، فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده !

عائشة : (يقلص دمعها وتنظر إلى أبويها لحظة كأنها تنتظر منهما
شيئا) ألا تجيبان ؟!

أبو بكر : (فى إطراق وفى صوت خافت) والله ما ندرى بماذا نجيب ؟

عائشة : (للنبى منفجرة) والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ،
والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى
منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن . ولئن أنا أنكرت ما يقولون ،

لا تصدقونني . ولكن سأقول كما قال أبو يوسف ،

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون !

(تنهمر عبراتها بلا شهيق)

(محمد يطيل النظر إلى عائشة متفكر . .
وفجأة تأخذه غشية . . . .)

أبو بكر : (همسا وهو مسرع إليه) الوحى !

(ثم يسجيه بثوبه ويضع تحت رأسه وسادة)

عائشة : (فى دهش) الوحى ! . .

زينب : (فى رجفة) اللهم عفوك ورضوانك !

عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) الوحى ! من أجلى ؟ ! وأيم الله لأنا
أحقر وأصغر شأناً من أن ينزل الله فىّ قرآناً . يقرأ ويُصلى
به فى المساجد !

أبو بكر : (فى رجفة) اللهم رحمتك !

عائشة : (فى صوت خافت) لماذا تفرقان هذا الفرق ؟ فوالله ما
أفزع ، فإنى أعرف أنى بريئة وأن الله غير ظالمى !

أبو بكر : (وهو لا يحيد عن النبى بنظره) رحماك اللهم !

عائشة : أتخشيان أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ؟

أبو بكر : صــه !

زينب : (وقد رأت النبي يتحرك) صه

محمـــد : (يسرى عنه ويجلس ويمسح العرق عن جبينه) أبشري يا عائشة! فقد أنزل الله براءتك.

عائشة : (صائحة) لربي الحمد! لربي الحمد!

زينب : (تتنفس في فرح) الحمد لله!

أبو بكر : (رافعا يديه إلى السماء) لك الحمد اللهم!

محمـــد : (يتلو) . إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم! لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم. لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . . .

المنظر السادس

(في المدينة — على مقربة من المسجد . . الناس يتأهبون للرحيل . أنصاري ومهاجري يتحادثان .)

الأنصاري: ما الخبر ؟

المهاجري : رسول الله يخرج إلى مكة ، يريد زيارة للبيت الحرام .

الأنصاري: وهل تتركه قريش يدخل مكة ؟

المهاجري : إنه يدخلها معتمرا ، لا يريد حرباً ولا قتالا

الأنصاري: (يلتفت) أنظر ! من هذا الرجل ؟

المهاجري: هذا بشر بن سفيان قدم ولا ريب من مكة يفضي إلى

الأنصارى: (يلتفت) وهذا النبي قد خرج اليه .

(يخرج النبي وقد تهيأ للرحيل ومعه الناس ، يتقدم بشر اليه ويسلم عليه .)

بشر : يارسول الله ! هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لاتدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم !

محمد : ياويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ! ماذا عليهم لو خلو بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لاأزال أجاهد على الذى بعثنى الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .

بشر : على بركة الله !

بشر : عسى أن تأمن قريش إذ تعرف أنك لا تريد حربهم

محمد : (لمن حوله) من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

المنظر السابع

(عبدالله بن أبي أمام المسجد بالمدينة
ومعه أحد الأنصار.......)

ابن أبيّ : أعدتم من مكة ؟

الأنصارى : نعم أو ما بلغك خبر الصلح ؟

ابن أبي : الصلح ؟

الأنصارى : لقد تم بين رسول الله وقريش الصلح .

الأنصاري: عند ما كنا بالحديبية أسفل مكة ، بعثت قريش سهيل بن
عمرو إلى رسول الله ، فكتبا عهداً أن توضع الحرب
عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم
عن بعض ، وانه من أحب أن يدخل فى عقد النبى وعهده
دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم
دخل فيه .

ابن أبى : عجباً ! ..

الأنصاري: (يلتفت) صه ! رسول الله .

(عبد الله بن أبى ينصرف سريعا ، ويأتى
النبى ومعه أبو بكر وعمر وعلى ...)

عمــــر : اليوم قد أمنا شر قريش ،

أبو بكر : نعم انه لفتح مبين !

عمر : يا رسول الله ، الآن قد ثبت دينك وأقر به الجاحدون .

محمد : لله الحمد إن الله قد بعثنى رحمة وكافة !

أبو بكر : لا للعرب وحدهم ، انما للعرب والعجم وخلق الله كافة

محمد : صدقت يا أبا بكر إن الله أرسلنى إلى هرقل وكسرى
والمقوقس ونجاشى الحبشة .. أدعوهم إلى الاسلام .

أبو بكر : فلنوجه إليهم يارسول الله من يحمل اليهم كتباً تدعوهم إلى الإسلام .

محمد : نعم ! أريد أن أوجه دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل ، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ، وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى .

علىّ : أنأتى بهم اليك يارسول الله ؟

محمد : نعم .

(على ينصرف مسرعا مع بعض الناس)

عمر : لى يارسول الله رأى .

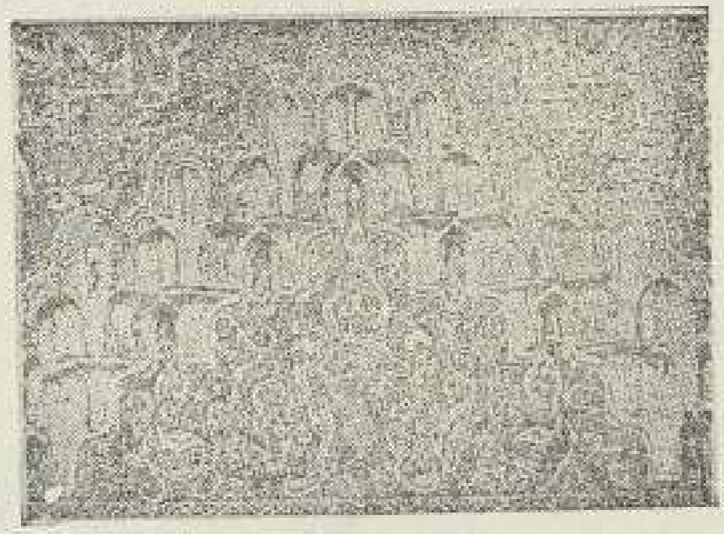
محمد : قل يا أبا حفص .

عمر : ان اليهود مابرحت لهم شوكة فى خيبر ، وانى لأخشى أن يؤليهم علينا الفرس أو الروم . أو ينهضهم الثأر لبنى قريظة

محمد : (يفكر قليلا) أصبت .

عمر : لابد لنا من غزو خيبر .

محمد : (فى عزم) نعم . تجهزوا لغزو خيبر !



المنظر الثامن

« فى خيبر — النبى بين أصحابه
متهلل الوجه . . . . »

محمد : الله أكبر ! خربت خيبر !

على : نعم ، ما بقى حصن إلا فتح

(يتقدم دحية ، وهو أحد المقاتلين)

دحية : يا رسول الله ! لقد وقعت صفية فى سهمى ، وهى جارية جميله .

محمد : لقد اشتريتها منك بسبعة أرؤس .

دحية : قلت يا رسول الله

محمد : ادفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها .

دحية : (منصرفا هامسا) أين أم سليم ؟

أحد الناس: (همسا) مع ظعينة رسول الله .

(يدنو أحد الأنصار من دحية ويسأله)

الأنصارى: (همسا) أصفية سيتزوجها رسول الله أم يتخذها أم ولد؟

دحية : ما أدرى . إن حجبها فهى امرأته ، وإن لم يحجبها فهى أم ولد .

(يذهب)

(يدنو من الأنصارى امرأة يهودية
ومعها شاة مشوية . . . .)

اليهودية : أين محمد ؟

الأنصارى: لماذا تسألين عنه أيتها المرأة ؟

اليهودية : معى شاة مشوية أحب أن أهديها إليه .

الأنصارى : هو هذا الجالس بين أصحابه .

اليهودية : أى الشاة أحب إليه ؟

الأنصارى : الذراع .

(اليهودية تترك الأنصارى وتخرج
من ثوبها شيئاً تضعه فى الشاة وتكثر

محمـــد : (يرى المرأة بقربه) من المرأة ؟

اليهودية : (تقدم الشاة) يا أبا القاسم ! هدية أهديتها لك .

محمـــد : جزاك الله خيراً . خذوها منها .

(يتناولها منها بشر بن البراء أحد
الحاضرين وتنصرف المرأة وتقف
عن كثب تنظر إليه . . . . .)

بشر : (فى نهم) إنها شاة مصلية .

محمـــد : (لأصحابه) ادنوا فتعشوا .

بشر : إنك تحب الذراع يا رسول الله .

محمـــد : نعم . ناولنى الذراع !

(بشر يناول النبى الذراع ، فينهش النبى
منها ، ويأخذ بشر عظما آخر ينهش
منه . . . .)

بشر : (يقف قليلا دون أن يزدرد وينظر إلى النبى . . .)

محمـــد : (يقف فجأة عن النهش) ارفعوا أيديكم ، فإن ذراع الشاة
تخبرنى أنها مسمومة !

الجميـــع : (فى فزع) مسمومه !

بشر : (للنبى) والذى أكرمك ، لقد وجدت ذلك من أكلتى التى
أكلت حين التقمتها فما منعنى أن ألفظها إلا أنى كرهت أن
أبغض إليك طعامك ، فلما أكلتَ ما فى فمك لم أرغب

بنفسي عن نفسك ، ورجوتُ أن لا تكون ازدردتها
وفيها بَغي .

علـــى : (لأحد الحاضرين) اطرحوا منها للكلاب !

(يطرحون منها لكلاب مات فيموت في الحال)

عمـــر : إنه لم يتبع يده حتى مات .

علـــى : انظروا ! لقد عاد لون بشر كالطيلسان .

محمـــد : (صائحا) إئتوه بحجام !

أبو بكر : أرى والله أن تحتجم يا رسول الله .

محمـــد : نعم . أريد أن أحتجم على كاهلي .

أبو بكر : (لمن حوله) أسرعوا في طلب الحجام .

محمـــد : أين هذه المرأة ؟

الأنصاري : (وقد قبض عليها) ها هي ذي يا رسول الله .

محمـــد : (للمرأة) ما حملك على ما صنعتِ ؟

اليهودية : إنك نلتَ من قومي ما نلت . قتلت أبي وعمي وزوجي ،
فقلت إن كان نبياً لم يضره ، وإن كان كاذباً أرحت
النـــاس منه .

المنظر التاسع

(في مكة — عمرو بن العاص في أصحاب له من قريش . . . . . .)

عمرو : تعلمون ، واللات ، إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً . فما ترون فيه ؟

قريش : ماذا رأيت ؟

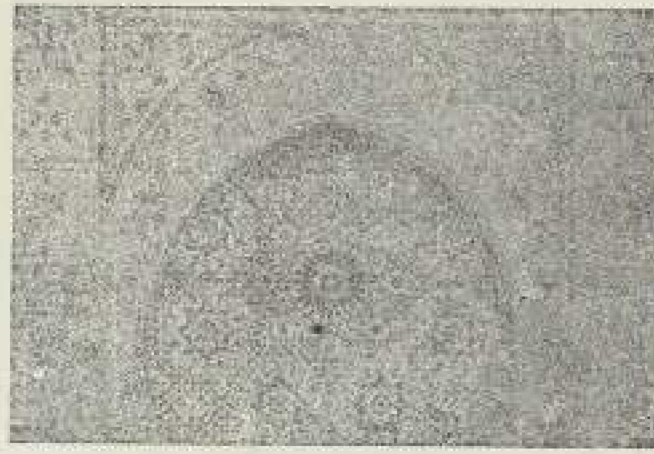
عمرو : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده . فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي . فإنا أن نكون تحت يديه

أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد . وإن ظهر قومنا

فنحن من قد عرفوا . فلن يأتينا منهم إلا خير

قريش : إن هذا لرأى .

عمرو : اجمعوا لنا إذن ما نهديه إلى النجاشى !



المنظر العاشر

(عند النجاشي — وبين يديه رسول محمد ، وهو عمرو بن أمية الضمري)

الضمري : يا أصحمة ، إن عليّ القول وعليك الاستماع . إنك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنا بالثقة لك منك ، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمنّاه . وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهـــد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك وقع الحز

واصابة المفصل . وإلا فانت فى هذا النبى الأمى
كاليهود فى عيسى ابن مريم . وقد فرق النبى رسله
إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على
ماخافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر .

النجاشى . أشهد بالله أنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب
وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى
براكب الجمل . وان العيان له ليس بأشفى من الخبر
عنه . ولكن أعوانى من الحبش قليل . فانظرنى حتى
أكثر الأعوان وألين القلوب !

(يدخل عمرو بن العاص فى أصحابه
فيلمح الضمرى . . . .)

عمرو بن العاص . (لأصحابه هامسا) أتدرون من هذا بين يدى النجاشى؟
هذا عمرو بن أمية الضمرى رسول محمد . لو قد
دخلت على النجاشى لسألته إياه فاعطانيه فضربت
عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش انى قد أجزأت
عنها حين قتلت رسول محمد . ها هو ذا ـد ودع
النجاشى وخرج . هلموا بنا . .

(يتقدم إلى النجاشي ويسجد له . . . .)

النجاشي : مرحباً بصديق !

عمرو : أيها الملك !

النجاشي : أهديت إليّ من بلادك شيئا ؟

عمرو : نعم أيها الملك . قد أهديت إليك أدماً كثيراً .

(يقرب اليه الهدية . . . .)

النجاشي : (ينظر إليها معجبا) مرحى مرحّى ! وشكراً شكراً .

عمرو : أيها الملك . . إنى قد . . رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا . فأعطنيه لأقتله . فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا !

النجاشي : (يغضب ويمد يده فيضرب بها أنفه ضربة شديدة . . .) ؟

عمرو : (فى فرق) أيها الملك . واللات لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

النجاشي : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى . لتقتله ؟!

عمرو : أيها الملك . أكذاك هو ؟!

النجاشي : ويحك يا عمرو ! أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق . وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده

عمرو : أفتبايعني له على الاسلام ؟

النجاشي : نعم

(يبسط يده فيبايعه عمرو)

المنظر الحادي عشر

(في الطريق إلى المدينة ....
عمرو بن العاص يقابل خالد بن الوليد)

عمرو بن العاص: (لخالد) أين يا أبا سليمان؟

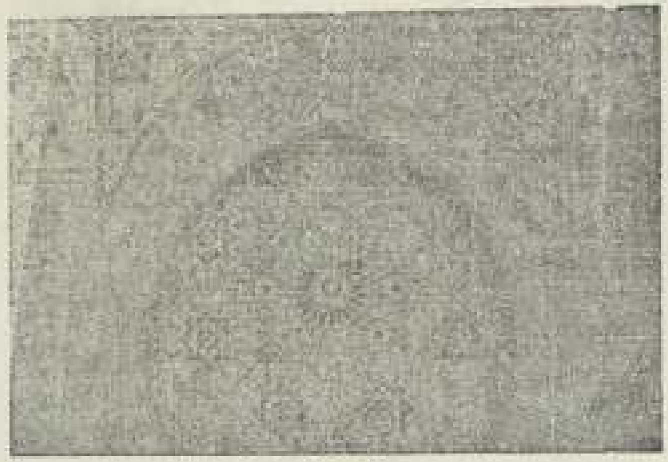
خالد ابن الوليد: والله لقد استقام الميسم، وإن الرجل لنبي. اذهب والله فاسلم، فحتى متى؟

عمرو: أنت أيضا!!

خالد: نعم.

عمرو: والله ما جئت أنا كذلك إلا لأسلم.

خالد: هلم بنا!!



المنظر الثاني عشر

(في المدينة — النبي في المسجد)

عمر : يارسول الله . لقد عاد من أرسلناهم إلى الملوك من الرسل

محمد : أدخلهم !

(يدخل الرسل وهم دحيه بن خليفه
وعمرو بن أميه وعبد الله بن حذافه
وحاطب بن بلتعه . . . .)

عمر : (لهم) لقد أذن لكم رسول الله .

محمد : (لدحية بن خليفة) ماوراءك يادحية !

دحية : لقد وجهتنى يارسول الله إلى قيصر الروم ، فرد عليك بهذا الكتاب .

محمد : إقرأه .

دحية : (يفتح الكتاب ويقرأ) « إلى محمد رسول الله ! إنى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى . . . »

محمد : كذب عدوّ الله . ليس بمسلم ، بل هو على نصرانيته . (يلتفت إلى عمرو بن أمية) وأنت ياعمرو ماوراءك ؟

ابن أميّة : توجهت إلى نجاشى الحبشة فأجاب ، أنه يشهد بالله أنك النبى الآتى الذى ينتظره أهل الكتاب ولكن أعوانه من الجيش قليل ، وطلب أن تنظره حتى يكثر الأعوان ويلين القلوب .

محمد : (يلتفت إلى عبد الله بن حذافة) وأنت يا عبد الله ؟

عبد الله : توجهت إلى كسرى وقدمت له كتابك ، فأخذ الكتاب فمزقه

محمد : مزق الله ملكه .

عبد الله : ثم أجاب « مُلك هنئ ، لا أخشى أن أغاب عليه ولا أشارك

فيه . وقد ملك فرعون بنى اسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعنى أن أملككم وأنا خير منه . فأما هذا المُلك فقد علمنا أنه يصـــير إلى الكلاب وأنتم أولئك . تشبع بطونكم وتأبى عيونكم »

محمد : (يلتفت إلى حاطب بن بلتعة) وأنت يا حاطب ما وراءك

حاطب : قدمت على المقوقس فأجابنى « انى قد نظرت فى أمر هذا النبى . فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب . وسأنظر » . ثم أهدى إليك يارسول الله : جارية قبطية جميلة . اسمها مارية ...!

المنظر الثالث عشر

(فى المدينة — النبى وأبو بكر فى المسجد ، وبين نفر من الخزرج ثم عبد الله بن أنيس ، ومسعود بن سنان وابن عتيك ، وأبو قتادة ، وخزاعى . . . .)

عبدالله : يارسول الله ! لقد أصابت الأوس عدو الله اليهودى كعب بن الأشرف !

محمد : متى ؟

مسعود : اليوم

محمد : وكيف أصابوه ؟

عبد الله : قتلوه بأسيافهم ، ووالله لايذهبون بهذه فضلاً علينا عندك فى الاسلام ولن تنتهى حتى نوقع مثلها ، فأذن لنا فى قتل اليهودى ابن أبى الحقيق وهو بخيبر .

أبو بكر : (محمد باسماً) إن هذين الحيين من الأنصار ، الأوس والخزرج ، ليتصاولان تصاول الفحلين ، لاتصنع الأوس شيئاً فيه غناء . إلا صنعت الخزرج مثلهم .

عبد الله : نعم ، وإنا لنستأذن رسول الله فى أن نصنع مثل ماصنعت الأوس .

محمد : (باسماً) قد أذنت لكم .

الخزرج : (صائحين فرحا) الله أكبر !

محمد : ولكنى أنهاكم أن تقتلوا وليداً أو امرأة !

(يخرج رجال الخزرج . . .)

بلال : (يدخل فرحا) يانبىّ الله !

أبو بكر : مالك يابلال ؟

بلال : (فى فرح) لقد جاء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كى يسلما .

محمد : (...) أدخلهما !

(يدخل خالد وعمرو)

خالد : يارسول الله ، لقد تبين لى الحق من الباطل ، وعلمت أنك رسول الله ، وإنى أبايعك على الاسلام .

محمـــد : (فرحا) الله أكبر ! الله أكبر !

عمرو : (يتقدم) يارسول الله ! وأنا أبايعك على أن . . .

أبو بكر : (لايتمالك) على أن . . ماذا ؟

عمرو : على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى ، ولا أذكر ماتأخر .

محمـــد : ياعمرو بايع . فان الاسلام يجب ما كان قبله . والهجرة تجب ما كان قبلها :

المنظر الرابع عشر

• محمد أمام المسجد مع أبي بكر ،
يقبل عليه نفر الخزرج مهللين .. •

عبدالله : (فى فرح) الله أكبر !

محمد : ما وراءكم ؟

مسعود : قتلنا عدوّ الله ابن أبى الحقيق .

محمد : كيف ؟

ابن عتيك : خرجنا حتى إذا قدمنا خيبر ، قمنا على باب ابن أبى الحقيق
ليلا فاستأذنا عليه فخرجت إلينا امرأته فقالت من أنتم ،
قلنا ناس من العرب

فادخلوا عليه ، فدخلنا عليه وأغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً أن تكون دونه محاولة تحـــول بيننا وبينه ، وصاحت امرأته فنوهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة ، ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله أن لا نقتل امرأة فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها . .

عبـد الله : (متمما) ولما ضربناه بأسيافنا تحاملت عليه بسيفى فى بطنه حتى أنفذته وهو يقول ، حسبى ، حسبى ، وخرجنا فوقع ابن عتيك لسوء بصره من الدرجة ، فوثئت رجله وثأ شديداً فحملناه . . .

ابن عتيك : نعم ، وأوقد يهود النيران واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم ، فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ؟، فقال خزاعى أنا أذهب فانظر لكم . . فانطلق . . .

خـزاعى : انطلقت حتى دخلت فى الناس فوجدت امرأته ورجال

يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتقول « فاظ وإله يهـــود » فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها . . .

أبو قتادة : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر .

أبو بكر : (باسماً) ومن منكم قتله ؟

ابن عتيك : أنا .

عبد الله : بل ضربتى أنا . . .

مسعود : بل أنا . . .

خزاعى : إن أردتم الحقيقة فأنا الذى . . .

محمـــد : هاتوا أسيافكم ؟

الخزرج : (يسرع كل إلى سيفه ويقدمه إلى النبى) هاهى ذى !

محمـــد : (ينظر إلى السيوف ويشير إلى أحدها) لمن هذا السيف ؟

الخزرج : لعبد الله بن أنيس :

محمـــد : (يشير إلى سيف عبدالله) هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام !

المنظر الخامس عشر

(النبى فى حى بالمدينة بين رهط من الناس . . . .)

أبو رافع : (يأتى وهو يجرى ويلهث) يارسول الله ! أبشر ! أبشر !

محمد : بماذا ؟

أبو رافع : ولدَت لك مارية القبطية الليلة غلاماً

محمد : (فى فرح) ولد لى غلام !

أبو رافع : نعم وربك قد ولد لك غلام !

محمد : (فرحاً) يا أبا رافع ، لقد وهبت لك عبداً .

أبو رافع : (صائحا يجرى فى الناس) أبشروا أيها الناس ! أبشروا !

محمد : (ينهض) أيها الناس ! ولد لى الليلة غلام ! وإنى سميته باسم أبى ابراهيم !

(يذهب مسرعا ومعه أبى رافع)



المنظر السادس عشر

• عائشة فى مسكنها مع أمها زينب أم رومان ....•

أم رومان: لا تحزنى يا بنيتى !

عائشة : وددت والله أنى أنا أم هذا الغلام .

أم رومان: عسى أن ترزقى غلاماً مثله !

عائشة : أما علمت ؟

أم رومان: ماذا ؟

عائشة : لقد حجب رسول الله مارية .

أم رومان: نعم ، إنها قد ثقلت على نسائه .

عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) قد عقّ عنه رسول الله بكبشين يوم سابعه ، وحلق رأسه ، فتصدق بزنة شعره فضة عـــلى المساكين ، وأمر بشعره فدفن فى الأرض . وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه !

بريرة : (تدخل) رسول الله جاء !

(تخرج أم رومان وتترك عائشة)

محمد : (يدخل فرحا حاملا ابنه ابراهيم بين ذراعيه .) ياعائشة ! أنظرى ! أنظرى !

عائشة : (ترفع رأسها فى فتور) ماذا ؟

محمد : (ينظر إلى الغلام بين ذراعيه) أنظرى إلى شبهه بى !

عائشة : ما أرى شبهاً .

محمد : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟!

عائشة : من سُقى ألبان الضأن سمن وأبيض .

محمد : (ينظر إلى غـــلامه) أما دريت ياعائشة ؟ لقد جاء إلىّ جبريل فقال ، السلام عليك يا أبا ابراهيم !

عائشة : (فاترة) حقا ؟

محمد : ألا يسرك هذا ؟

عائشة : ما الذى جاء بك الساعة يارسول الله ؟!

محمد : جئت لك بابراهيم كى تنظرى إليه .

عائشة : (مطرقة) قد نظرت إليه

محمد . (يلتفت إليها) مالك ياعائشة ؟

عائشة : مابى من شىء .

محمد . (ينظر اليها مليا) أغرت ؟

عائشه : (مطرقة) كلا .

محمد : إنك والله قد غرت .

عائشة : (ترفع رأسها صائحة) ومالى لايغار مثلى على مثلك !

محمد : يبتسم) أو قد جاءك شيطانك ؟

(صمت عميق . . تهدأ عائشه قليلا)

عائشة : أمعى شيطان ؟

محمد : نعم .

عائشة : ومع كل إنسان ؟

محمد : نعم .

عائشة : ومعك يارسول الله ؟

محمد : نعم ، ولكن ربى أعانى .

المنظر السابع عشر

« عائشة فى مسكنها ، تدخل عليها
بريرة تجرى . . . . »

بريرة : (وهى تلهث) أجاءك الخبر ؟

عائشة : أى خبر ؟

بريرة : مات ابراهيم !

عائشة : (فى فرح ظاهر) غلام القبطية ؟ !

بريرة : نعم ، نعم

عائشة : (تنهض وثبا) من أين عرفت ذلك ؟

بريرة : الناس تتحدّث به ، ونساء النبى قد ذهبن يحضرون دفنه !

عائشة : على بإزاري!

بريرة : أين؟

عائشة : أذهب لأرى هذا الأمر!

المنظر الثامن عشر

« النبى فى البقيع ، ومعه الفضل بن عباس
وأسامة بن زيد يحملان جثة إبراهيم
وخلفهم مارية تبكى ونساء من الأنصار
والمهاجرين ، وحفار يحفر قبراً . . »

الفضل : أندفنه هنا فى البقيع ؟

محمد : (مطرقا) نعم .

أسامة : (قرب الحفرة) أدن يا ابن عباس ! هذا الحفار قد فرغ ...

الفضل : (يدلى بالجثة فى الحفرة) فى جنة الخلد يا إبراهيم !

النساء : (صائحات) إن له إن شاء مرضعاً فى الجنة !

محمد : (على شفير القبر) أرى فرجة فى اللحد !

محمد : (يسوى بأصبعه الحدث) أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكن تقر بعين الحى ، إن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه .

النساء : (ينظرن إلى السماء صائحات) انظروا ! انظروا !

محمد : (يلتفت) ماذا ؟

النساء : انكسفت الشمس !

أسامة : (ناظراً الى السماء) أى والله ! انكسفت الشمس لموت ابراهيم !

النساء : (صائحات) لموت ابراهيم انكسفت الشمس ! انكسفت الشمس لموت ابراهيم !

محمد : (ينهض ويلتفت الى الناس) أيها الناس ! إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد .

(يسكت الناس لحظة ، ويعود النبى الى اطراقه)

الفضل : (ناظراً الى التراب وقد أهيل على ابراهيم) رحمة الله على إبراهيم ! لو عاش كان صديقاً نبياً .

محمد : ([illegible]) [illegible] ؟

الحفار : نعم .

محمد : من أحد يأتى بقربة ماء ؟

أسامة : (يسرع الى قربة فيحملها ويجىء بها الى النبى) هذى قربة الماء يارسول الله !

محمد : رشها على قبر إبراهيم .

أسامة : (يرش الماء على القبر) استودعناك الله يا ابراهيم !

محمد : (لايملك نفسه) لوعاش ابراهيم لوضعتُ الجزية عن كل قبطى !

(تسيل من عينى النبى الدموع)

أسامة : أتبكى ، وقد نهيتَ عن البكاء ؟!

محمد . (باكياً) إن ابراهيم ابنى وإنه مات فى الثدى ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة

الفضل . يارسول الله .. ! تبكى وأنت رسول الله ؟!

محمد : إنما أنا بشر ، تدمع العين ويخشع القلب ، ولا نقول إن شاء الله إلاّ مايرضى الرب ، والله لولا أنه أجل معدود ، ووعد صادق ، وقت معلوم ، وأن آخرنا لاحق بأوّلنا ،

المنظر التاسع عشر

(النبي بين أصحابه فى المدينة أمام المسجد ....)

بلال : (يتقدم بين يدى النبي) يارسول الله ! لقد نقضت قريش صلح الحديبية !

(النبي يطرق مفكراً)

عمر : ماتقول يابلال ؟

بلال : رجال من خزاعة قدموا بهذا الخبر .

على . ولما يمض على الصلح اثنان وعشرون شهراً ! ..

أبو بكر : (يلتفت) نعم . هذا عمرو بن سالم الخزاعى فى رجال من خزاعة !

(النبي يرفع رأسه ناظرا إلى
رجال خزاعه . . . . . .)

الخزاعى : (يتقدم بين يدى النبى) يارسول الله ! بعد أن دخلنا فى
عقدك وعهدك ، عدت علينا قريش ليلا ونحن آمنون
فقتلوا منا عشرين رجلا ، فقدمنا عليك نخبرك ونستنصرك

محمد : (يقوم يجر رداءه) لا نُصرتُ إن لم أنصركم مما أنصر
منه نفسى !

الخزاعى : لقد بلغنا أن قريشاً رهبوا الذى صنعوا وندموا عليه .

بـــلال : (ينظر) هذا رجل كأبى سفيان مقبلا مسرعاً .

أبو بكر : (ينظر مليا) نعم هو أبو سفيان .

محمد : (يقف) كأنى به قد جاء ليشد العقد ويزيد فى المدة .

أبو سفيان: (يتقدم إلى النبى) يا أبا القاسم : إنى قد جئتك فى أمر . .

(محمد لا يرد عليه شيئا . . . . .)

أبو سفيان: جئت للعهد الذى بيننا وبينك .

(محمد لا يجيب)

أبو سفيان: (يمضى فى القول) ألك فى أن نشد العقد ونزيد فى المدة ؟

محمد : (فى صوت خافت كالمخاطب لنفسه) هيهات ! هيهات !

(يترك أبا سفيان وينصرف)

أبو سفيان: (لمن حوله) لماذا لا يرد على شيئاً ؟! يا أبا بكر ! كلم لى أبا القاسم أن يستمع إلىّ . .

أبو بكر : (يتركه ويمشى فى أثر النبى) ما أنا بفاعل .

أبو سفيان: (يتجه إلى عمر بن الخطاب) وأنت يا أبا حفص ، ألا تكلمه لى . . ؟

عمـــر : (يزور عنه) أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به !

(يتركه ويتبع النبى . . . . . .)

أبو سفيان: (لعلى بن أبى طالب) ياعلىّ ! إنك أمسّ القوم بى رحماً ، وإنى قدجئت فى حاجة فلاأرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى أبى القاسم .

عـــلى : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله على أمر ، مانستطيع أن نكلمه فيه

أبو سفيان: (لعلى) يا أبا الحسن إنى أرى الأمور اشتدت علىّ ، فانصحنى !

عـــلى : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا . ولكنك سيد بنى

كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك .

أبو سفيان: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟

علـــي : لا والله ما أظنه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك .

(يتركه ويذهب كي يلحق بالنبي . . .)

أبو سفيان: (يقف وسط الناس) أيها الناس ! إني قـــد أجرت بين الناس !

الناس : (هازئين) اركب بعيرك وانطلق ! . .

أبو سفيان: صدقتم ، هذا أولى بي !

(يركب بعيره وينطلق ...)

بـــلال : (يأتي مسرعا من جوار النبي) أيها الناس ! إن رسول الله يأمركم أن تتجهزوا للقتال !

المنظر العشرون

« في مكة — أبو سفيان في رجال
من قريش ليلا. . . . . »

قــريش : (لأبي سفيان) ما وراءك ؟

أبو سفيان : جئت محمداً فكلمته ، فواللات ما ردّ على شيئاً . ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت علياً فوجــدته ألين القوم ، وقد أشار عليّ بشيء صنعته ، فواللات ما أدرى هل يغني ذلك شيئاً أم لا .

قـريش : وبم أشار عليك ؟

أبو سفيان : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت .

قـريش : وهل أجاز ذلك محمد ؟

أبو سفيان : لا .

قـريش . ويلك ! واللآت ما زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ما قلت .

أبو سفيان : لا واللآت ما وجدت غير ذلك .

(يأتى أحد رجال قريش وهو بديل ابن ورقاء يجرى . . . .)

بديـــل : يا معشر قريش ! العسكر ! العسكر !

قـــريش : (تقوم أين ؟

بديـــل : (يشير الى ضوء منبثق عن بعد) انظروا ! تلك النيران ؟

قريش : (فى دهش وخوف) نعم ، نعم . . .

أبو سفيان : (ينظر الى النيران نعم ، ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً .

بديـــل : هذه واللآت خزاعة حمشتها الحرب .

أبو سفيان : (ناظراً الى النيران) خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . .

(يمر العباس بن عبد المطلب على ظهر بغلة النبي البيضاء . . . .)

العباس : (صائحا بأبي سفيان) يا أبا حنظلة !

أبو سفيان : (يلتفت) أبو الفضل ؟!

العباس : نعم .

أبو سفيان : مالك ، فداك أبي وأمي !

العباس : ويحك يا أباسفيان ! هذا رسول الله في الناس !

أبو سفيان : (مرتاعا) محمد !

العباس : نعم ، واصباح قريش والله لئن دخل مكة عنوة قبل أن تأتوه فتستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر !

أبو سفيان : فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي !

العباس : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك . . .

أبو سفيان : نعم . هلم بنا .

(يركب في الحال خلف العباس)

المنظر الحادي والعشرون

(في معسكر النبي — العباس يمر بجنود
المسلمين على البغلة في طريقه إلى النبي،
وخلفه أبو سفيان ....)

المسلمون : (صائحين) من هذا ؟

العباس : أنا ..

المسلمون : عم رسول الله على بغلته !

أبو سفيان: (قلقاً) خشيت أن يكونوا قد أمروا فيَّ بشيء..

العباس : لاتخش شيئاً .

عمر ابن الخطاب : (يلمح أبا سفيان) من هذا ؟

العباس : أنا . . .

عمــــر : (صائحا) أبو سفيان على عجز الدابة ! أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد

العباس : (يركض بالبغلة) فلنسبقه إلى رسول الله !

أبو سفيان : (ينظر خلفه فى قلق) إنه يشتد خلفنا

العباس : إن سبقنا إلى رسول الله فأنت هالك !

أبو سفيان : أسرع بنا فداك أبى وأمى !

العبـــاس . (يوقف البغلة أمام مضرب النبى) قد بلغنا المكان هذا رسول الله !

(ينزلان ويتقدمان نحو النبى وهو جالس أمام مضربه . . . .)

أبو سفيان : همسا للعباس) كلمة لى اول الأمر

العباس : (يتقدم) يار ول الله !

عمــــر : (يصل مسرعا وهو يصيح) يارســــول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد . فدعنى فلأضرب عنقه !

العباس : يارسول الله ! إنى قد أجرته

عمــر : يا رسول الله ! مرنى اتكلم . .

العبـاس : (يجلس إلى النبى ويأخذ برأسه ويلتفت إلى عمر) والله
لا يناجيه الليلة دونى رجل !

عمــر : إن ابا سفيان عدوّ الله !

العباس : مهلا يا عمر ! فوالله ان لو كان رجال بنى عدى بن كعب
ماقلت هذا . ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف !

عمــر : (يهدأ ويتلطف) مهلاً يا عباس ! فو الله لإسلامك يوم
أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما
بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى
رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم .

أبو سفيان : (للعباس خافتا فى قلق) كلم لى ابن أخيك !

محمــد : (يلتفت الى أبى سفيان) أبا سفيان !

أبو سفيان : نعم يا أبا القاسم !

محمــد : ويحك ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟

أبوسفيان : بأبى أنت وأمى . ما احلمك واكرمك واوصلك !

والله لقد ظننت ان لو كان مع الله إله غيره لقد اغنى عنى شيئاً بعد

محمد : ويحك يا ابا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟

ابو سفيان : بأبى انت وأمى ، ما احلمك واكرمك واوصلك . اما هذه والله فان فى النفس منها حتى الآن شيئاً .

العباس : (يغمزه بيده) ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك :

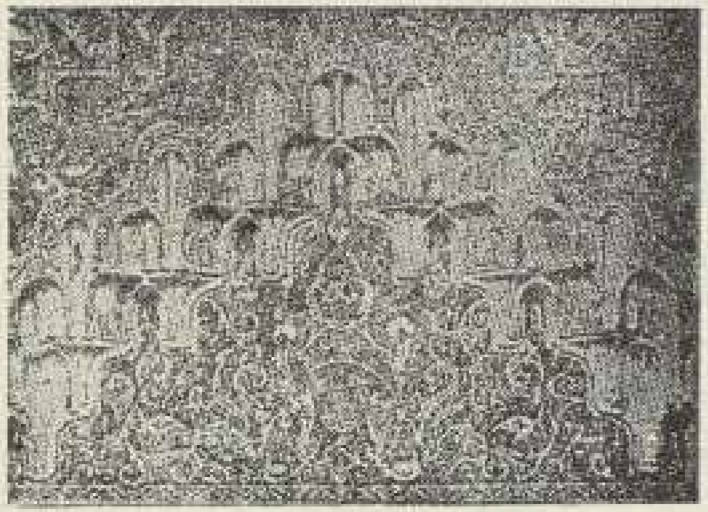
أبو سفيان : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

العباس : يا رسول الله ! إن ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

محمد : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

أبو سفيان : (للنبي وهو منصرف مع العباس) إنك والله لكريم .

محمد : (همساً للعباس) ياعباس ! احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود الله فيراها ،



المنظر الثاني والعشرون

« بمضيق الوادي عند خطم الجبل ــ النبي مارٌ في جيشه ، العباس وأبو سفيان في ناحية ينظران إلى الجنود تمر بهما »

العبـاس : اِنظر إلى جنود الله !

أبو سفيان : (مأخوذاً) نعم نعم . ما هذه القبائل كلها !

العبـاس . (يشير الى قبيلة مارة) هذه سُلَيم .

أبو سفيان : نعم ، نعم ، ومن هؤلاء ؟

العبـاس : هؤلاء مُزينة .

أبو سفيان : نعم، نعم . . .

العبـاس : وهؤلاء قبائل أسلم وغفار وجهينة . .

أبو سفيان : نعم ، نعم . .

العبـاس : انظر إلى القبائل تمر على راياتها .

أبو سفيان : (فى صيحة) سبحان الله ياعباس ! من هؤلاء ! ؟

العباس : هذا رسول الله فى كتيبته الخضراء .

أبو سفيان : (فى إعجاب) الكتيبة الخضراء !

العباس : نعم ، المهاجرون والأنصار . . !

أبو سفيان : يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة ! لا يرى والله منهم إلا الحدق من الدروع والحديد !

العباس : نعم .

أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قِبلٌ ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما !

العبـاس : يا أبا سفيان ، إنها النبوة .

أبو سفيان : فنعم إذن ،

العبـاس : (يدفعه) يا أبا سفيان النجاءَ إلى قومك .

أبو سفيان : صدقت .

(ينصرف الى قومه)

العبـاس : أسرع !

المنظر الثالث والعشرون

« في مكة — الناس مجتمعون ،
وأبو سفيان بينهم يخطبهم . . »

أبو سفيان : (يصرخ بأعلى صوته) يامعشر قريش ا هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

(تقوم اليه هند بنت عتبة غاضبة ثائرة
من بين الناس . . . .)

هنـــد : أأنت تقول هذا ؟

أبو سفيان: نعم أقول هذا ، فاستمعوا إليّ !

هنـــد : (تأخذ بشارب أبي سفيان وتصيح) اقتلوا الحميت الدسم الأحمس ! قبح من طليعة قوم !

أبو سفيان: أغربى أيتها المرأة!

هند : (للناس) لاتصغوا إلى هذا الرجل !

أبو سفيان: (للناس) ويلكم ! لاتغرنكم هذه من أنفسكم ، فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن

الناس : قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ؟

أبو سفيان: (يمض فى الكلام) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

الناس : (يرون الجيش مقبلا فيتفرقون مسرعين متصايحين . .) الجيش ! الجيش ! محمد ! النجاء ! إلى المسجد . إلى دوركم !

(يدخل النبى وجيشه ظافرين)

عمر : (صائحا فى أمراء الجيش) يا أمراء الجيش لقد أمر رسول الله ، إذا دخلتم مكة ، أن لاتقاتلوا الا من قاتلكم !

محمد : (على دابته ناظراً إلى السماء) لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده !

(يخفض رأسه ويسير فى طريق الكعبة . . .)

أبو سفيان: (يلمح العباس) يا أبا الفضل!

العباس : (يدنو منه) أنظر إلى النبي ! .. إنه يضع رأسه تواضعاً
لله ، لمـا أكرمه به من الفتح ، حتى أن عثنونه يكاد يمس
واسطة الرحل !

أبو سفيان: (ناظراً إلى النبي) نعم .

العباس : اللهم لك الحمد ! فتحت مكة بغير قتال !

أبو سفيان: لقد بلغ النبي الكعبة .

العباس (يتبع ببصره النبي) نعم .

أبو سفيان: إنه قد رفع يده ، وأمر في الكعبة بشيء .

العباس : (يرى محمداً على وشك الكلام) إنه يشير إلى الأصنام .

أبو سفيان: نعم . صه ! إنه يتكلم .

محمد : (صائحا) جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا

عمـــر : (لرجاله) حطموا هذه الأحجار !

(المسلمون يحطمون أصنام الكعبة .)

ابن رواحة: (الشاعر يقف إلى جوار النبي ويصيح في حماسة . . .)

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله !

عمـــر : يابن رواحة ! بين يدى رسول الله وفى حرم الله ، تقول الشعر ؟!

محمد : خلّ عنه ياعمر ! فلهى فيهم أسرع من نضح النبل !

أبو بكر : (للنبى فى فرح وتأثر) يارسول الله ! لقدتم نصر الله لك ولما جئت به !

محمد : (يتلو) إذا جاء نصرُ الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّابا .



الخاتمة

المنظر الأول

(في المدينة — عائشة على فراشها
في مسكنها . . . .)

زينب : (تدخل على ابنتها) أتعلمين الخبر ؟

عائشة : نعم ، رسول الله يتجهز للحج وقد أمر الناس بالجهازله . .

زينب . نعم لقد رأيت الناس يسوقون الهَدْى

عائشة : (باكية) اللهم أغنى !

زينب : أتبكين ؟

محمد : (يدخل) مالك يا عائشة ؟

زينب : (تنهض) رسول الله!

محمد : لعائشة) لعلك نفست ؟

عائشة : نعم . والله لوددت أني لم أخرج معكم على هذا السفر .

محمد : لاتقولن ذاك . فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج . إلا أنك

لاتطوفين بالبيت .

المنظر الثانى

(فى مكة — النبى مع الناس عند
البيت الحرام ....)

عمـــر : (لأبى بكر) ما لك ؟ ما يحزنك ؟

أبو بكر : إن رسول الله قد أرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم .

عمـــر : وما فى ذاك ؟

أبو بكر : (كالمخاطب لنفسه أخشى أن تكون حجة الوداع .

عمـــر : (يلتفت الى ناحية النبى) إن رسول الله قام يخطب الناس .

أبو بكر : نعم . هلم إليه .

محمد : (يخطب) أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى

لا ألقاكم بعد عامى هذا، بهذا الموقف أبداً، أيها الناس،

إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة

يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم

فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلَّغت، فمن كانت عنده أمانة

فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكن

لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تُظلمون. وإن كل

دم كان فى الجاهلية موضوع. أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان

قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً. ولكنه أن يطع فيما

سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه

على دينكم، أيها الناس، إنما النسىء زيادة فى الكفر يُضَل به

الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما

حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن

الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض،

وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً. منها أربعة حرم

ثلاثه متوالية، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان،

أما بعد أيها الناس . فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم
حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ،
وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن
لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير
مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ،
واستوصوا بالنساء خيراً ، فانهن عندكم عوان لايملكن
لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله . فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ،
وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً ،
كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه
تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلايحل
لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا
تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

الناس : (صائحين) اللهم نعم .

محمد : (ناظراً الى السماء) اللهم اشهد !

المنظر الثالث

« فى المدينة — عائشة جالسة ليلا و
حدها ، تدخل عليها أمها زينب .. »

زينب : مالك يا ابنتى ؟

عائشة : رسول الله ؟

زينب : ما به ؟

عائشة : وثب من مضجعه فى جوف الليل فلبس ثيابه ثم خرج .

زينب : أين ؟

عائشة : لست أدرى ، قد أمرت خادمتى « بريرة » أن تتبعه .

(بريرة تدخل . . . .)

بريرة : مولاتى . . .

عائشة : خبرينى .

بريرة : تبعت رسول الله ، فرأيته قد انطلق ومعه مولاه أبو رافع
إلى الخلاء . .

عائشة : الخلاء ؟ !

المنظر الرابع

(النبي وأبو رافع أمام المقابر
بالبقيع ....)

أبو رافع: أين يارسول الله فى جوف الليل ؟

محمـــد: يا أبا رافع ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيـع .

أبو رافع: (كالمخاطب لنفسه) عجباً ! . .

محمـــد: (متجها إلى القبور) السلام عليكم يا أهل المقابر ! ليهنىء لـكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى .

أبو رافع : (كالمخاطب لنفسه) أهو وداع من الدنيا ؟ !

محمـــد : (يلتفت إلى أبي رافع) يا أبا رافع ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة .

أبو رافع : (مبادرا) بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة :

محمـــد : لا والله يا أبا رافع ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة

أبو رافع : (في حزن كالمخاطب لنفسه) لقد اخترت فراقنا !

محمـــد : (متجها إلى المقابر) السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، إيانا وإياكم ماتوعدون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل البقيع . اللهم اغفر لأهل البقيع !

المنظر الخامس

(فى مسكن عائشة — وهى جالسة
واضعة يدها على رأسها . . . . . .)

بريرة : (جالسة إلى جوار عائشة) ألا ترقدين ؟

عائشة : إنى أجد صداعاً فى رأسى .

بريرة : لقد سهرتِ الليل فى انتظار أوبة رسول الله .

عائشة : لو أنك عرفت أين ذهب يابريرة ؟

بريرة : لاتجزعى . لعله امر بشىء . هذا رسول الله قد اقبل .

(تنهض لدخول النبى وتذهب)

محمـــد : (يدخل معصوب الراش) مالك ياعائشة ؟

عائشة : (واضعة يدها على رأسها) وارأساه !

محمد : (فى توجع) بل أنا والله يا عائشة وارأساه !

عائشة : (تنهض اليه فى الحال) مابك يا رسول الله ؟

محمد : (ينظر اليها طويلا) ما ضرّكِ لومتِّ قبلى ، فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ !

عائشة : كأنى بك والله تحب موتى ! ولوكان ذلك لرجعتَ إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك !

محمد : (يتبسم) إنك غَيرَى .

(ويبدو على النبى التعب)

عائشة : (يغشاها قلق) ما بك ؟

محمد : آه .

عائشة : (فى جزع) اجلس يارسول الله على فراشك .

محمد : (يجلس متوجعا) ما زلت أجد من الأكلة التى أكلتها يوم خيبر عداداً ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى .

عائشة : (فى جزع) لا يا رسول ، لم يأن الأوان .

محمد : انى أشتكى ولا أستطيع أن ادور على نسائى فارسلى إليهن ! فان شئن أذنّ لى أمرض عندك

عائشة : (وهى مطرقة) نعم .

(تدخل فاطمه بنت النبى جزعه . . .)

فاطمة : ما بك يا رسول الله ؟ قد أخبرتنى بريرة انك عدت عاصباً رأسك!

محمد : مرحباً يابنتى !

فاطمة : أبتِ ! مالك ؟

محمد : (يدعوها ويسارّها) لا أظن إلا أجلى قد حضر .

فاطمة . (تبكى) أبتاه !

محمد : (همسا) لاتبكى ، فانك أول اهلى بى لحوقاً .

بريرة : (تدخل) قد دعا بلال إلى الصلاة !

محمد : اوصلى الناس ؟

بريرة : لا ! هم ينتظرونك يا رسول الله .

محمد : (ينهض) ضعوا لى ماء فى المخضب .. آه ..

(ينوء مغشيا عليه)

فاطمه : (تضرع اليه) إنه ينوء . .

عائشة : (صائحة مسرعة اليه) ادركونى ! قد اغمى عليه !

(بريرة تهرع فى أثر مولاتها جزعة)

محمد : (يفيق) أصلى الناس ؟

عائشة : لا تترك فراشك يا رسول الله . مر من يصلى بالناس .

محمد : (فى صوت ضعيف) مروا أبا بكر فليصل بالناس !

(تسرع بريرة بالخروج صادعة بالأمر)

عائشة : (على رأس النبى) يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق
ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن .

محمد : مروه فليصل بالناس .

عائشة : (همساً لفاطمة) كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى . إن الناس
لن يحبوا رجلاً قام مقام رسول الله أبداً . وإنهم سيتشاءمون به .

(يرتفع صوت عمر فى المسجد . . . .)

عمر : (من الخارج) الله أكبر ! الله أكبر .

محمد : (يتحرك) صوت من هذا ؟ ؟

فاطمة : هـذا عمر بن الخطاب .

محمد : لا ، لا . يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .
أين أبو بكر ؟ أين أبو بكر ؟

عائشة : لا ريب أنه غائب . . .

محمد : (يحاول النهوض) ضعوا لى ماء ، حتى أخرج إلى الناس
فأعهد إليهم !

المنظر السادس

« في المسجد — الناس في هرج
وقد انتقضت صفوفهم . . . . »

عمـــر : (لبلال) ويحك ماذا صنعت بي يا بلال ؟ والله ما ظننت حين أمرتني ، إلا أن رسول الله أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس .

بـــلال : والله ما أمرني رسول الله بذلك ، ولكني حين لم أر أبا بكر ، رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

عمـــر : (يلتفت) هذا أبو بكر . هلم إلى الصلاة .

(أبو بكر يدخل مسرعا ويصلي بالناس
فتنتظم الصفوف خلفه . . . .)

أبو بكر : الله أكبر ! . . .

(يظهر النبي عاصباً رأسه بخرقة ويستند
إلى بابه الملاصق للمسجد، فيراه المسلمون
فيبدو منهم حركة افتتان وفرح به . .)

محمد : (يبتسم لفرحهم ويشير إليهم هامساً) اثبتوا على صلاتكم !

(أبو بكر يحس بالنبي فينكص عن مصلاه)

محمد : (يدفع في ظهره برفق)

(ثم يجلس إلى يمين أبي بكر ويصلي قاعداً)

الناس : (لا تتمالك بعد ختام الصلاة أن تصيح فرحاً) رسول الله؟
رسول الله قد برأ . هذا رسول الله !

(بين المصلين أنس بن مالك ينظر إلى
النبي ويهمس لمن في جواره . . .)

أنس : انظر إلى وجهه ! كأنه ورقة مصحف !

محمد : (يتحامل ويعتلي المنبر معتمداً على ذراعي أبي بكر وعمر)
اللهم اغفر لأصحاب أُحُد ! اللهم اغفر لأصحاب أُحُد .
أيها الناس ! ألا من كنت جلدتُ له ظهراً ، فهذا ظهري
فليستقدمنه ، ومن كنت شتمت له عرضاً ، فهذا عرضي
فليستقدمنه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ،
ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني . ألا وإن
أحبكم إليَّ من أخذ مني حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت
ربي وأنا طيب النفس !

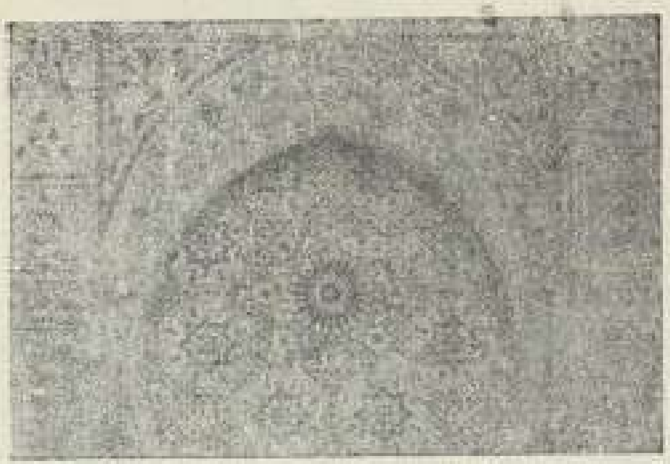
أحد الناس : (ينهض) يا رسول الله ! لى عليك ثلاثة دراهم !

(يشير النبي فيؤتى المال من مسكنه ويعطى الرجل ...)

محمـــد : (يمضى فى خطبته) أيها الناس إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله .

أبو بكر : (يفهم ويبكى) بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا .

محمـــد : على رسلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه ، ولو كنت متخذاً خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخــوة الإسلام .



المنظر السابع

(فى مسكن عائشة — النبى على فراش
الموت ، والنساء خلف ستار يحجبهن
عن ذويه وأصحابه من الرجال . .)

عمـــر : (يدخل ويهمس لعلى والعباس بن عبد المطلب . . .)

الناس يسألون كيف أصبح رسول الله ؟

عـــلى : (همسا) أصبح بحمد الله بارئاً .

العباس : (ينظر إلى وجه النبي ويهمس) أحلف بالله لقد عرفت

الموت فى وجه رسول الله ، كما كنت أعرفه فى وجوه

بنى عبد المطلب !

أبو بكر : (يلمس النبى) يارسول الله ، إنك لتوعك وعكاً شديداً ،

محمـــد : (فى صوت ضعيف متعب) أجل . . إنى أوعك كما يوعك

رجلان منكم .

أبو بكر : إن لك لأجرين .

محمـــد : نعم والذى نفسى بيده ، ما على الأرض مسلم يصيبه أذى

من مرض فما سواه ، إلا حط الله به عنه خطاياه ، كما تحط

الشجرة ورقها

(يسمع صوت لغط وبكاء فى المسجد)

أبو بكر : (يهمس لعلى) ماهذا الصوت فى المسجد ؟

عـــلى : (همسا) أخشى أن يكون العباس قد خرج يخبر الناس .

محمـــد : (يشير إلى الستار الذى بين المسكن والمسجد . . .)

من هؤلاء ؟

عـــلى : هذه الأنصار فى المسجد . نساؤها ورجالها ، يبكون عليك

محمـــد : وما يبكيهم ؟

علـــى : (فى تردد وصوت خافت) يخافون أن تموت .

محمـــد : أهريقوا علىّ سبع قرب من آبار شتى ، ثم إيتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده .

عمـــر : (لمن حوله همساً) إن رسول الله قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله .

أبو بكر : بل قربوا يكتب لكم رسول الله .

علـــى : كلاً . الرأى ماقال عمر .

(يشتد اللغط بين الرجال)

محمـــد : (يضيق بهم) قوموا عنى ! قوموا عنى !

أبو بكر : لقد أثقلنا على النبى فى وجعه . هلموا بنا !

(يذهب الرجال — وتخرج عائشة والنساء من خلف الستر . . . .)

عائشة : يارسول الله ! إنك لتجزع وتضجر ، لو فعله امرأة منا عجبت منها !

محمـــد : إن المؤمن يشدد عليه ، ليكون كفارة لخطاياه .

فاطمة : (تبكى) ؟

محمـــد : لاتبكى يابنة . قولى إنا لله وإنا إليه راجعون ، فإن لكل

إنسان بها من كل مصيبة معوضة .

فاطمة : ومنك يارسول الله ؟

محمـــد : ومنى .

عائشة : (لفاطمة) إنه يوعك من الحمى . .

محمـــد : (ينهض قليلا) ياعائشة ؟ مافعلت بذلك الذهب ؟ ؟

عائشة : أى ذهب ؟

محمـــد : الدنانير الستة التى عندى .

عائشة : هى عندى !

محمـــد : ماظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده ! أنفقيها كلها صدقة . . إن النبى لايورث .

عائشة : سأنفقها . . .

محمـــد : اللهم توفنى فقيراً ولا توفنى غنياً واحشرنى فى زمرة المساكين ! (يرقد) الآن استرحت .

عائشة : (تضع رأس النبى فى حجرها) يارسول الله ! أسأل الله لك الشفاء والعافية .

محمـــد : (يشخص ببصره إلى السماء كالمخاطب لنفسه) بل الرفيق الأعلى !..

عائشة : (تسقط من عينها قطرة دمع بلا شهيق) خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق.

محمـــد : (فى صوت خفيف) قدحاً من ماء!

عائشة : (للنساء) أسرعن إلىّ بقدح من ماء!

(يحضرن قدح الماء)

محمـــد : (يبلل يده ويمسح وجهه) اللهم أعنّى على سكرات الموت!

فاطمة : واكرب أبتاه!

محمـــد : ليس على أبيك كرب بعـــد اليوم ، أُدن منى .. أُدن منى ياجبريل ! ادن منى ياجبريل ! ادن منى ياجبريل !

(يرى جبريل قد هبط عليه)

جبريل : يا أحمد ! إن الله أرسلنى إليك إكراماً لك ، وتفضيلا لك وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، ويقول لك كيف تجدك ؟

محمـــد : (شاخص العينين يتكلم من قلبه دون أن يبدو لمن حوله

شيء . .) أجدنى ياجبريل مغموماً ، وأجدنى ياجبريل مكروباً !

جبريل : (يشير إلى ملك خلفه) يا أحمد ! هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمى بعدك .

محمد : أيذن له .

ملك الموت : يا رسولَ الله يا أحمد ! إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى ، إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها .

محمد : وتفعل يا ملك الموت ؟

ملك الموت : بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما أمرتنى .

جبريل : يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك

محمد : امضِ يا ملك الموت لما أمرتَ به .

جبريل : السلام عليك يارسول الله ! اليوم آخر عهدى بهبوط الأرض !

(يرتفع الملكان ويتركان محمداً جثة هامدة)

عائشة : (ترى الذى قد ثقل فى حجرها فتضعه على الفراش

وتغطى وجهه ببرده وتصيح) أدركونى ! أدركونى !

النساء : (فى جزع وروع) ماذا ؟ !

عائشة : (تضرب وجهها) واثكلاه ! مات رسول الله مات رسول الله !

فاطمة : أبتاه !

النساء : واثكلاه !

فاطمة : (ترى الجثة فتصيح) أبتاه ! أبتاه ! يا أبتاه ! أجاب ربا دعاه !
يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ،
يا أبتاه ! من ربه ما أدناه !

عائشة : (فى بكاء وشهيق) رسول الله قد مات ! واحر قلباه !
وامصيبتاه ، الآن قد انقطع عنا خبر السماء !

بريرة : (تدخل مسرعة) إن عمر والعباس ورجالاً معهما يستأذنون فى الدخول على النبى .

عائشة : (للنساء) احتجبن خلف الستر !

(يحتجب النساء فى الحال وهن يبكين)

عمـــــر : (يدخل ويسرع إلى محمد ويرفع الغطاء عن وجهه . . .)
واغشيا ! ما أشد غشى رسول الله !

(أحد الرجال وهو المغيرة ينظر
فى وجه النبى . . . .)

المغيرة : ياعمر ، مات والله رسول الله .

عمـــــر . (فى غضب) كذبت ! ما مات رسول الله ولكنك رجل
تحوشك فتنة . ولن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين

(العباس ينظر فى وجه النبى ولايجيبه
يخرج عمر والعباس والرجال . . .)

النـاس : (فى الخارج) أمات النبى ؟ أمات النبى ؟

عمـــــر : (يصيح فى الخارج) أيها الناس ! لا أسمعن أحداً يقول إن
محمداً قد مات . ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى
بن عمران ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنى لأرجو
أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات .

النـاس : (فى الخارج) لاتدفنوه ! إنه لم يمت !

رجل : (فى الخارج) إن رسول الله قد رفع ، كما رفع عيسى بن
مريم ، وليرجعن !

العباس : (فى الخارج) هل عند أحد منكم عهد من رسول الله فى
وفاته فيحدثناه ؟

الناس : (فى الخارج) لا !

العباس : (من الخارج) هل عندك يا عمر من ذلك ؟

عمـــر : (من الخارج) لا !

العباس : (من الخارج) اشهدوا أن أحداً لا يشهد على نبى الله بعهد عهده إليه بعد وفاته إلا كذاب ، والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما يأسن البشر ، فادفنوا صاحبكم ، أيميت الله أحدكم إماتة ويميته إماتتين ؟ هو أكرم على الله من ذلك ، إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ، أحلّ الحلال وحرّم الحرام ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم .

النساء : (خلف الستر) أمات رسول الله أم لم يمت ؟

فاطمة : (تدنو من الجثة وتتأمل وجه النبى طويلا وتجهش بالبكاء) قد توفى رسول الله !

أبو بكر : (يدخل مسرعا ويتجه إلى الجثة ويرفع الغطاء عن النبى

المسجى ويقبله ويبكى . . .) بأبى أنت وأمى ، طبت حيا وميتا ! أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً .

(يرد البرد على وجه النبى ويخرج)

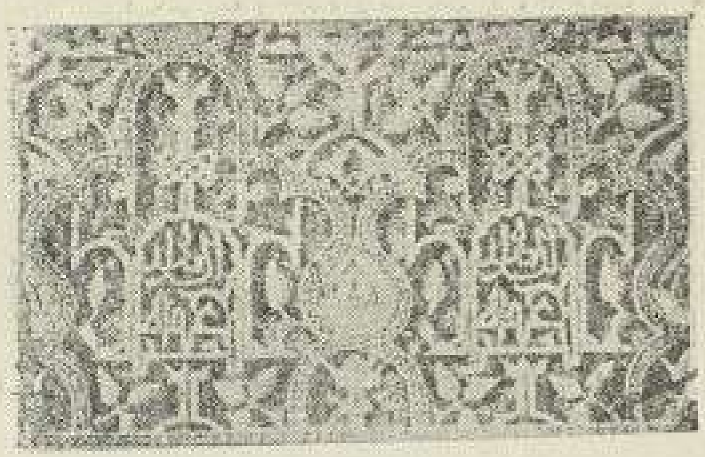
عمـــر : (فى الخارج) أيها الناس . والله ما مات رسول الله . إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى !

أبو بكر : (فى الخارج) على رسلك يا عمر ! أنصت !

عمـــر : (مستطرداً) والله لايموت رسول الله حتى تقطع أيدى أقوام وألسنتهم !

أبو بكر : (فى الخارج صائحا) أيها الناس : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى اللهُ الشاكرين » أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت .

الناس : (فى الخارج يبكون) مات رسول الله !



المنظر الثامن

(النبي مسجى على سريره ، يدخل
الناس عليه زمراً زمراً يصلون عليه
ويخرجون بغير أن يؤمهم أمام . .)

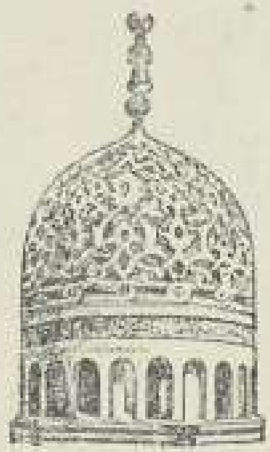
(أبو بكر وعمر وعلي في الصف الأول
أمام جثة النبي مطرقين . . . . .)

علي : (همساً للجثة والعبرات في عينيه) أنت إمامنا
حياً وميتاً .

أبو بكر وعمر : (للجثمان) السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته !
اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته
وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلماته .

فآمن به وحده لاشريك له ، فاجعلنا يا إلهنا من يتبع
القول الذى أنزل إليه ، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه
فانه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما . لانبتغى بالإيمان
بدلا . ولا نشترى به ثمناً أبداً . .

النـــاس : (فى صوت واحد) آمين ! آمين !



الفهرس

الصفحة	المنظر	الإيضـــاح
		الله . قدوم عمه حمزة وعلمه بما لحق بابن أخيه من إهانة . حمزة يعلن إسلامه .
٦٠	الثالث عشر	محمد جالس وحده فى المسجد . أشراف قريش يجلسون عن كثب يتهامسون . سادات قريش وأشرافها يساومون محمدا على دينه بعروض الحياة من ملك وجاه عريض فيرفض . يطرحون أمر محمد على أحبار اليهود ورهبان النصارى .
٦٦	الرابع عشر	فى المدينة . عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث بين أحبار يهود
٦٧	الخامس عشر	فى مكة . قريش مجتمعة فى حى من أحيائها . يقبل النضر وعقبة ، يسألان محمدا عن ماهية الروح ، فيعدهما إلى الغد .
٦٩	السادس عشر	فى شعاب مكة : النبى ساجد عند غار حراء . الراعيان يرقبانه عن كثب . . . محمد يناجى ربه . جبريل يهبط عليه فيتهلل محمد ويتلقى من الوحى آية الروح : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى . . . الآية » .
٧٢	السابع عشر	بعد غروب الشمس . . . أشراف قريش عند ظهر الكعبة . . . يساومون محمدا من جديد . . . تهكمهم به واستهتارهم برسالته وعدم اقتناعهم بما أتى به من شأن الروح . توعد أبى جهل لمحمد.
٧٩	الثامن عشر	أبو طالب وقد حضره الموت . يدخل عليه سادات قريش يستمطرونه إرجاع ابن أخيه عن غايته ، فلا يخذله فى آخر رمق من حياته يخرج القوم يائسين من رجوع محمد عن دعوته . محمد يطلب النطق بشهادة من عمه أبى طالب ، فتحضره الحشرجة فيسر إلى أخيه العباس بأمر . العباس يشهد بنطق أبى طالب للشهادة . محمد يقرر أنه لم يسمع .
٨٣	التاسع عشر	بيت النبى فى مكة . بلال وفاطمة يتألمان من إيذاء قريش للنبى بعد موت عمه أبى طالب .
٨٦	العشرون	أبو لهب وأبو سفيان يتقابلان فى طريق بمكة . أبو لهب ينبئه أن خديجة فى الموت . تآمر أبى لهب مع التجار على رفع الأسعار لجوع محمد وصحابه .

الصفحة	المنظر	الإيضاح
١٨٣	الرابع	جمع من الناس عند مساكن النبي . أحد الأنصار يدنو من أحد المهاجرين . زواج محمد بعائشة .
١٨٥	الخامس	نفر من المهاجرين بينهم عمر وأبو بكر بجوار المسجد يتحادثون . دعوة محمد المسلمين للخروج إلى عير قريش .
١٩٠	السادس	فى مكة بجوار الكعبة . عاتكة بنت عبد المطلب تحادث أخاها العباس . رؤيا عاتكة . ضمضم الغفارى يستنفر الناس لإنقاذ أبي سفيان .
١٩٦	السابع	فى وادى ذفران . محمد فى رجاله . محمد يدعو الأنصار لنصرته . خروج المسلمين إلى بدر .
٢٠٤	الثامن	ماء بدر . قلب ماء عديدة بالوادى بينها قليب أمامه كثيب . أبو سفيان يتصرف على عيون محمد . محمد ينزل بقومه عند الماء ويصفّهم . محمد يرى قريشاً فيدعو الله لنصرته . رؤيا جهيم . تردد قريش فى الحرب بعد نجاة العير . بدء القتال بالمبارزة وانتصار المسلمين .
٢٢٤	التاسع	محمد وعائشة فى مسكنهما . . . ليلا . غيرة عائشة من ذكرى خديجة . محمد وعائشة يتعاتبان . غضب عائشة ومجىء والدها .
٢٢٩	العاشر	فى مكة . أمام بيت العباس بن عبد المطلب . صفوان بن أمية جالس إلى عمير ، ومعهما رهط من قريش بينهم عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل . تآمر المشركين على قتال محمد والأخذ بثأر بدر .
٢٣٨	الحادى عشر	فى المسجد بالمدينة . كعب بن الأشرف اليهودى فى نفر من القوم محمد يدعو اليهود إلى الإسلام . قدوم عمر بن وهب وإسلامه . كتاب العباس لمحمد ينبأ خروج قريش للحرب . محمد وقومه يخرجون للقتال .
٢٤٨	الثانى عشر	محمد فى جيشه . أمام حائط لمربع قيظى . موقف مربع الأعمى من محمد . ابن أبيّ ينصرف بقومه ويرجع بثلث الناس .
٢٥١	الثالث عشر	عند جبل أحد . محمد وجيشه يتهيأون للقتال وقد جعلوا أحدا خلف ظهورهم . محمد فى صفوف الرماة يوصيهم . محمد يعرض [illegible]

الفصل الثالث

الصفحة	المنظر	الإيضاح
		محمد فى غزوة بنى المصطلق. جويرية بنت الحارث تريد مساعدة النبى لها، فيعرض عليها الزواج منه فتقبل.
٣١٩	الثانى	أمام المسجد بالمدينة. بعض الناس يتهامسون ... وعلى رأسهم ابن ثابت ومسطح. مسطح يتهم عائشة بصفوان.
٣٢١	الثالث	عائشة فى مسكنها على فراش المرض وإلى جوارها أمها زينب أم رومان. عائشة تعلم بحديث الإفك من أم مسطح. عائشة تقص على أمها قصتها مع صفوان.
٣٢٧	الرابع	محمد قائم فى الناس يخطبهم أمام المسجد. محمد يستفتى الناس فى أمر عائشة.
٣٣٠	الخامس	فى مسكن عائشة وهى بين أبويها تبكى. النبى مطرق على مقربة منهم. محمد ينبىء عائشة بحديث الإفك. نزول الوحى ببراءة عائشة.
٣٣٣	السادس	فى المدينة على مقربة من المسجد. الناس تتأهب للرحيل. أنصارى ومهاجر يتحادثان. بشر بن سفيان ينبىء النبى بخروج قريش وقد تهيأ للرحيل ومعه الناس.
٣٣٦	السابع	عبد الله بن أبى أمام المسجد بالمدينة ومعه أحد الأنصار. صلح الحديبية. كتب النبى إلى الملوك. عمر يبشر بغزو خيبر قبل فتح فارس والشام.
٣٣٩	الثامن	فى خيبر. النبى بين أصحابه متهلل الوجه. يهودية تتقدم إلى النبى بشاة. محمد يقبل الشاة. فيوحى إليه بأنها مسمومة. ثم يتحقق من ذلك. اليهودية تقر بأنها دست له السم فيها.
٣٤٣	التاسع	فى مكة. عمرو بن العاص فى أصحاب له من قريش. عمرو يعرض على أصحابه الذهاب إلى الحبشة وقد عز عليه شأن الإسلام.
٣٤٥	العاشر	عند النجاشى وبين يديه رسول محمد ... وهو عمرو بن أمية الضمرى. الضمرى يعرض الإسلام على النجاشى. عمرو بن العاص يطلب من النجاشى قتل الضمرى. النجاشى يقنع عمرو بن العاص. عمرو يبايعه على الإسلام.
٣٤٩	الحادى عشر	فى الطريق إلى المدينة. عمرو بن العاص يقابل خالد بن الوليد ثم يسيران فى طريق المدينة. بعد اقتناع خالد.
٣٥٠	الثانى عشر	فى المدينة: النبى فى المسجد. عودة الرسل إلى محمد وإفضاؤهم بما

كتب للمؤلف

محمد
فن الأدب
مسرح المجتمع
الملك أوديب
أهل الكهف
شهرزاد
يوميات نائب فى الأرياف
عصفور من الشرق
عهد الشيطان
راقصة المعبد
سلطان الظلام

حمار الحكيم
بجماليون
سليمان الحكيم
زهرة العمر
شجرة الحكم
رصاصة فى القلب
تحت شمس الفكر
تحت المصباح الأخضر
من البرج العاجى
أرنى الله
التعادلية